الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA

faculté : des lettres et des langues

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

N° :.....

الرقم:.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر أدب عربي (تخصص أدب جزائري)

حضور المدينة في الشعر الجزائري القديم

(تلمسان في العهد الزياني أنموذجا).

مقدمة من قبل الطالبة:
سارة عوايشية

تاريخ المناقشة : 22جوان 2016.

بويران وردة	رئيسًا	الرتبة: أستاذ محاضر –ب–	الجامعة: 8 ماي 1945قالمة
ابراهيم كربوش	مقررًا	الرتبة: أستاذ مساعد–أ–	الجامعة: 8 ماي 1945قالمة
بودروعة سيهام	ممتحناً	الرتبة: أستاذ مساعد–أ–	الجامعة: 8 ماي 1945قالمة

السّنة: 2015_ 2016م

شكـــــــــــر و تقدير

نشكر الله شكرا جزيلا و نحمده حمدا كثيرا الذي منحنا صبرا جميلا و قوة لإنجاز هذا العمل المتواضع.

كما أتقدّم بجزيل الشكر و فائق التقدير إلى الأستاذ المشرف : "كربوش ابراهيم" التي رافقني بنصائحه القيّمة طوال المراحل التي مررت بها خلال بحثي.

كما لا يفوتني توجيه آيات الشكر و الامتنان لأعضاء لجنة المناقشة على قراءة هذا البحث.

الشكر لكل من ساهم من قريب أو من بعيد في انجاز هذه المذكرة.

مقدّمـــــــــــة

الحمد لله الذّي أنزل على عبده الفرقان يكون منارا ليهتديّ به كلّ عارف و حيران، و سبيلا لمعرفة الهدى من الضّلال ليخرج النّاس من ظلمات الكفر و عبادة النّاس إلى نور الإيمان و عبادة الرحمن، و بعد:

شاعت الدراسات المكانية منذ القديم، فأخذت المدينة عبر المتن الشعري العربي مكانا مختلفا عنه في العصر الحديث، فكان لازما على الشّاعر أن يقف وقفة أمام الأطلال، أو كما يعرف بالمقدّمة الطللية، تلك هي السّمة البارزة و الميزة في تلك الفترة عن غيرها من الحقب فنظرا لكون المدينة ليست مفهوما معاصرا، أو فكرة مستحدثّة، و لكن النظرة إليها هي التي يمكن أن تنمّ بالحداثة و المعاصرة، فقبل أن تكون بناءا معماريا و شكلا هندسيا، فهي جملة من الأعراف و المواضعات المتطوّرة، و ما يلفت الانتباه تصويب جلّ الدارسين أقلامهم شطرا الأماكن الحديثة ووصفها و نقل أخبارها، فكان موقفهم منها إثارة الأحزان و أنّها منبع للشعور بالغربة إن تباينت تجاربهم.

و الشعر الجزائري كغيره يقع ضمن الأدبية إذ نلقيه يحضر من خلال العديد من هاماته من الشعراء سوءا في العصر القديم أو الحديث.

فأردنا من خلال هذه الدراسة: الغوص في أعماق التراث الأدبي و إماطة اللّثام عنه و التعرف عليه من خلال المدينة: في الشعر الجزائري القديم، تلمسان في العهد الزّياني أنموذجا.

و يتولّد عن هذا الإشكال المطروح سلسلة من الاشكاليات الفرعية، يمكن أن نوجزها في العناصر التالية:

1/- هل استطاع الشعراء توظيف الأطر المكانية في القصائد لتحقيق التلاحم مع باقي العناصر؟.

2/- كيف صوّر شعراء الجزائر المدينة؟ و ماهو موقف الشعراء العرب منها؟.

3/- كيف تجلّت تلمسان في الشعر الجزائري؟.

4/- و من أهم الشعراء الجزائريين في العهد الزيّاني؟

5/- هل بقي الشاعر التلمساني وافيا لمدينته؟.

فكان للمدينة في الشعر الجزائري نصيب بارز، و لكنّ على الرغم أنّ شعريّتها تحتلّ مكانة بارزة في جسد القصيدة العربية فإنّ الاهتمام بها نادرا، فهو لا يعدّ أن يكون محصورا في إشارات متناثرة هنا و هناك، بأحسن الأحوال يعالجه مقال في مجلّة، و يعقد له فصل في كتاب، و هذا يدلّ دلالة واضحة على أنّ مثل هذا الموضوع لم يلق العناية اللاّزمة من البحث و الدراسة، ما جعلنا نشعر بالحسرة، و ممّا يزيدنا ألما هو وجود فئة من أبناء الجزائر يقلّلون من شأن الأدب الجزائري القديم، منها تهميش الكثير من الاماكن القديمة التي تحمل الكثير من الرموز و الدلالات، فقد كانت تمثّل حواضر عامرة، تزخر بالعلم و العلماء، فهي جديرة بأن ينفض عنها غبار النسيان أو التناسي، و إن كنّا لاحظنا بعض النشاط و الحركيّة في هذا الميدان تظهر من خلال بعض البحوث و الدراسات التي حاولت أن تحلّل و تثمّن هذا التراث و تضعه في موضع اللائقة به، فكان هذا من أبرز الأسباب الموضوعية باختيارنا هذه الدراسة.

أمّا الدوافع الذاتية النفسية أن حبّنا للمدينة و إعجابنا بها ساهم في توجّهنا لهذا الموضوع، فتلمسان تعني أكثر من مجرّد مكان أو حاضرة قديمة اندثر عهدها، فهي التي كانت مرتعا للجمال و النعم و العلوم، إنّها تعني لنا الوطن الأمّ تعني لنا الجزائر التي كانت مختصرة فيها.

و انطلاقا ممّا سبق قد قسّمنا بحثنا إلى فصلين و مدخل، مقدّمة تذيّلها خاتمة فالمقدّمة شملت إحاطة بالموضوع و ذكر أسباب اختياره و المنهج المتبّع و الأهداف المنشودة ثمّ المراجع.

أما **المدخل** فموسوم "بالمكان" حاولنا الولوج إلى موضوعنا و التعريف بأهم اصطلاحاته، فتناولنا فيه المفهوم اللّغوي و الاصطلاحي، كما تطرقنا فيه إلى المكان في الشعر الجاهلي و الحديث، و أبعاده بالإضافة إلى أنواع الأمكنة مختتمين بأهمية المكان.

أما **الفصل الأول** عنوانه "المدينة في الأدب العربي"فتطرقنا فيه إلى تعريف المدينة لغة و اصطلاحا، المدينة في الشعر العربي في بلاد المشرق العربي و بلاد الأندلس، و أبعاد المدينة و تصوير شعراء الجزائر للمدينة و الموقف منها هذا فيما يخص المبحث الأول من الفصل، أمّا المبحث الثاني فتناولنا فيه تعريف تلمسان معرجين إلى أصل الكلمة، و تلمسان تاريخيا و عمرانيا و ارتباطها بالموقع الجغرافي، معرجين إلى تلمسان على لسان الرّحالة مختتمين الفصل بتصوير شعراء الجزائر لتلمسان.

أما **الفصل الثاني** (**تطبيقي**) عنوانه:"تلمسان في العهد الزياني في نماذج مختارة فخصصناه للحديث عن المدينة في العهد الزيّاني، و ركّزنا على الجانب الطبيعي الساحر لتلمسان بما تتوفر عليه من جمال خلاب، و حاولنا التطبيق على نماذج مختارة لشعراء العهد الزيّاني.

أنهينا دراستنا بخاتمة تضمّنت خلاصة لأهم النتائج التي اهتدينا إليها، فقد كانت بمثابة حوصلة.

سنحاول الإجابة عن هذه الإشكاليات السابقة من خلال بحثنا الّذي اتبعنا فيه المنهج الوصفي التحليلي و التاريخي، نظرا لما في هذه المناهج من مرونة تماشيّا مع روح الأدب.

و قد اعتمدنا في بحثنا على عدّة مراجع أهمّها حمادة تركي زعيتر "جماليات المكان في الشعر العباسي"، و محمّد عبيد صالح الشبهاني"المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، و ابراهيم رماني"المدينة في الشعر العربي الجزائر أنموذجا 1962،1925"، أسامة بن منقذ المقرّي التلمساني عنوان كتابه نفح الطيّب في غصن الأندلس الرطب.

و إن كان الباحث في هذا النوع من البحوث لابدّ أن يقع في مجموعة من الصعوبات فكانت من بين تلك التي اعتثرت طريقنا، قلّة المراجع خاصة في الفصل التطبيقي الّذي لم نعثر فيه على دواوين الشعراء.

و إذا كنت ثمّة كلمة نختم بها المقدّمة فهي تلك التي نتوجه بها إلى أستاذنا المحترم"كربوش ابراهيم" الذّي أمدّنا بنصائحه القيّمة التي كانت لنا عونا و سندا في كلّ مرحلة من مراحل انجازه، فجزاك الله كلّ الخير، كما نتقدّم بالشكر إلى كلّ من كان له الفضل في انجاز المذكّرة عن قرب أو عن بعد.

- نأمل في الأخير أن نكون قد وفقنا في عملنا المتواضع هذا هو أقصى ما نطمح إليه و نعتذر عن كلّ نقص و قصور، نسأل الله التوفيق و السّداد.

مدخـــــــــل:

"المكان في الأدب العربي"

- تعريف المكان

أ/ لغة

ب/اصطلاحا

2- المكان في الشعر الجاهلي

3- المكان في الشعر الحديث و المعاصر

4- أنواع المكان

أ/ أمكنة عامة

ب/ أمكنة خاصة

5- أبعاد المكان

6- أهميّة المكان

تمهيد:

من المعروف عن المكان أنّه أسبق في وجوده من الوجود الانساني، فالعلاقة بين الانسان و المكان علاقة حميمية حيث يمارس فيها الانسان التأثير المتبادل، و ممّا لاشكّ فيه أنّ الله سبحانه و تعالى خلق و هيّأ الكون كلّه بإعتباره الفضاء الأكبر للإنسان على وجه الأرض،و الحق أن المكان كان له تأثير على فكر الإنسان و جعله يختلف في إدراكه للموروث الثقافي ويؤثّر في سلوكه و تخيّله فهو يمارس التأثير على الإنسان في دورة لا تنتهي من التأثير المتبادل، و قد تطرق إلى مصطلح المكان كوكبة من الأدباء نذكر من بينهم، **تيلور سميث** taylour smithو **غاستون باشلار gaston bashlar**، صلاح صالح ، و السيّد اسماعيل و غيرهم كثر، و نحن هنا نقوم بوضع تعريف لغوي و اصطلاحي محاولين عدم التّوغل أكثر في الأعماق كي لا نحيد هذا الموضوع.

1/ **تعريف المكان:**

أ/**المكان لغة**:لفظ مأخوذ من المادة المعجمية مكن، و جمعها أمكنة و أماكن، و قد ورد في معجم ابن منظور:"المكان هو الموضع و الجمع أمكنة، و أماكن جمع الجمع و العرب تقول كن مكانك و اقعد مقعدك"[1].

و يتخذ مجرى الكينونة عند الخليل الفراهيدي: لا يبتعد الناقد **محمّد السيّد اسماعيل**عن هذا التعريف كثيرا في قوله:" في حين أنّ إدراك الإنسان للمكان إدراك حسي مباشر"[2].نفهم من هذا أنّ هناك علاقة تأثير متبادل بين الإنسان و المكان.

و في الصرف المكان يعني صيغة تدلّ على مكان وقوع الفعل، مثل المسرح، و بالرغم من تباين هذه المفاهيم إلاّ أنّها تؤدّي إلى معنى واحد كلّ واحد قريب إلى الآخر، فقد ورد لفظ المكان

[1]- أبو افضل جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج3،دار صادر، بيروت، لبنان، ط5،1991، مادة مكن،ص414.

[2]- السيد/ اسماعيل، بناء فضاء المكان في القصة الحربية القصة القصيرة، اصدارات دائرة الثقافة، دط،دت،ص15.

في القرآن الكريم في قوله عزّ و جلّ:﴿**و اذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمْ إِذَا انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانَ شَرْقِيًا**﴾**صدق الله العظيم،سورة مريم الآية 122**.

و قوله أيضا عزّ و جلّ:﴿**حُنَفَاءُ الله غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَمَاءِ فَتَخْطِفُهُ الطَيْرُ أَو تَهَوِي بِه الرِّيحُ فِي مَكَان سَحِيق**﴾**سورة الحج،الآية31**، في بيان أنّ الشرك أعظم خسارة لصاحبه و تعظيم شرع الله و أمره سبحانه و تعالى.

ب/ اصطلاحا:

– **المكان اصطلاحا**:حظيت هذه اللّفظة باهتمام بالغ عند الآدباء في استعمالات متعددّة لكثرة وروده بناءا على الحاجة الواسعة لاستعماله، سعة الحياة التي تجذّرت أغلب عناصرها في المكان.

فالمكان في الاصطلاح هو:"المساحة ذات الأبعاد الهندسية أو الطبوغرافية التي تحكمها المقاييس و الحجوم"[1] و قد أولى عدد من العلماء و الفلاسفة هذا المصطلح اهتمامهم منذ القديم إلى العصر الحديث، فأفلاطون كان اهتمامه واضحا بالمكان في دراسته أكّد بأنّ المكان يدرك و لكنّه لايرى، و اعتبره عنصرا كاملا ذا وجود مطلق حيث عبّر عنه باصطلاح فلسفي"فهو يعدّه الحاوي للأشياء و من صفاته أنّه على استعداد لقبول أي حركة و أي شكل من الأشكال"[2] .أي أنّ المكان الجامع بين الأشياء المادية و الملموسة، في حين يرى اقليدس أنّ المكان ثلاثي الأبعاد (الطول، العرض، العمق)و في هذا تحديد واضح لمفهوم المكان، في حين نجد البعض ينكرون أصل هذه اللفظة، بحيث لا يتكلّم عن المكان و معناه إلاّ فيزيائي أو مهندس،بمعنى لا يفهم معنى المكان و الحيّز على الحقيقة إلاّ من درس رياضيات و الهندسة

[1]– حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر و التوزيع، مؤسسة دار صادق الثقافية، ط1، 2013، ص29.
[2]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

بأنواعها و في هذا يرون الرواقيون أنّ "المكان إنّما هو فراغ متوهم تشغله الأجسام و تنفذ فيه أبعادها."[1]

و معنى هذا أن المكان لا حقيقة له بل هو وهمي تؤدّي فيه الأجسام وظيفة فالمكان عندهم ليس له وجود في ذاته.

– وقد فصل غاستون باشلار في مفهوم المكان بأوضاعه المختلفة و رأى: "أنّ المكان مرتبط بالبيت باعتباره المكان الأول، و باعتباره يعارض اللاّبيت، حيث يشكّل صدر المكان موطن البيت موطن الدفء، و حتّى أبئس البيوت يبدو جميلا و ممتعا طالما يمنحنا ألفة ما و يعتقد باشلار أنّ البيت في الرّيف أكثر شعرية منه في المدينة لأنّ البيت الريفي معرّض للعواصف و الأعاصير أكثر، وهو يوجهها بشكل أصعب من مواجهة بيت المدينة لها أمّا المدينة حيث البيوت متلاصقة، فالخوف من الإعصار و الرعد قليل إن لم يكن منعدما"[2] فبشلار يقرّ أنّ المكان هو الذي يعيش فيه النّاس عموما مهما اختلف سواء كان ريف أو مدينة، أو جبل أو بيت فكلاهما بالنسبة إليه أمكنة لكنّه فاضل بينهما و اعتبر أنّ جمالية المكان تكمن في الرّيف و ما يزخر به أكثر منه في المدينة.

– انطلاقا ممّا سبق نخلص إلى القول"أنّ المكان هو تلك الجغرافيا الممتدّة متسعة أحيانا منفتحة، و ضيّقه أحيانا أخرى منغلقة و لكنّها جغرافيا إذ تفعل ذلك فتكف عن كونها اقليما أو وطنا أو مدينة أو فندقا أو بيتا ذوات أبعاد هندسية ثابتة"[3] .

[1]– المرجع السابق، ص30.

[2]– فتحية كحلوش، بلاغة المكان قراءة مكانية النص الشعري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان،ط1، 2008،ص27.

[3]– المرجع نفسه،ص 30.

2/المكان في الشعر الجاهلي:

يعتبر الشعر الجاهلي من أقدم الأشعار التي حفلت بالتجربة المكانية، متجليّة في الوقوف على الطلل و من هنا وجب المرور عليه و لو بصورة موجزة لملاحظة المكان في المقدّمة الطلليّة حيث يتصارع الماضي و الحاضر و المكان الآهل، موطن السعادة و المكان المندثر،منبع الألم، نأخذ **زهير بن أبي سلمى** كنموذج أول:

غشيت الديار بالبقيع فتهمد دوارس قد أقوين من أم معبـــــــــــــــــــــــــــد

أربّت بها الأرواح كلّ عشيّة فلم يبق إلاّ آل خيم منضـــــــــــــــــــــــــــــد

و غير ثلاث كالحمام خوالد و هاب محيل هامد متلبّـــــــــــــــــــــــــــــــــد

وقفت بها أد الضحاء مطيّتي أسائل أعلاما ببيداء قـــــــــــــــــــــــــــــــــردد

فلما رأيت أنّها لا تجيبـــــــــــــــــــــــــــــــني نهضت إلى وجناء كالفحل جلعد."[1]

فقد ركز الشاعر في هذا المقطع على ذكر وتسمية الأماكن بأسمائها، و كان غرضه من وراء هذا أن يبرز التناقض بين الماضي و الحاضر، و بين الانقطاع و الاتصال، حيث تتجلّى صورة

1- فتحية كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانيّة النص الشعري، مرجع سابق، ص 72.

عيدان الخيّم العارية، و صورة الأثافي الباقيّة، و من هنا تتحرّك فاعليّة المكان لتوقف الشاعر، فالبقايا تدفع إلى إيقاض الذّاكرة التي تتحرك نحو المكان كان لتواصل و لكنّه الآن يسرّ على انغلاقيته، و في ختام موقف زهير نقول إنّ المكا يوجد فينا، في داخلنا، و ينتقل معنا إلى مواطن أخرى مهما كانت بعيدة عن الموطن الأصلي، و لاشكّ أنّ الوقوف كان في غالب الأحيان وقوفا لتذكر أعشاش السعادة وهو تذكّر يبعثه المكان.

واتخذ **عنترة بن شدّاد العبسي** من المكان أيضامنقذا عاطفيا فهو دافع للغربة، و إثار مشاعر الشوق، و عواطف الحنين إلى ديار الأهل و الأحبة يقول **عنترة:**

"حيّيت من الطلل تقادم عهده أقوى و أقفى بعد أم الهيثـــــــــــــــم

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا على طلابك ابنه مخـــــــــــــرم

كيف المزار و قد تربّع أهلهـــا بعنيزتين

و أهلها بالغلـــم."[1]

فهنا غربة مكانية ألمت بالشاعر و تركته في أحضان الشوق و الحنين و هذا الحنين مرتبط بالمحبوبة، حيث شكّل المكان باعثا من بواعث الغزل و الحنين، لأنّ المكان تتمحور دلالته و تبنى وظيفته في الشعر من خلال الأشخاص، فالشاعر استوحى ألفته من الدار بعد غياب الحبيب و أصبحت أنيسه الوحيد.

- يمكننا الوصول إلى القول بأنّ شعرية الطلل هي فاتحة لدراسة شعرية المكان في الشعر العربي في مراحله المختلفة، و إن كان الشعراء نظروا بإختلاف إلى الأمكنة.

3/ المكان في الشعر العربي الحديث و المعاصر:

[1]- محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار العربية، ط1، 2007، ص21.

[2]- ابراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي، الجزائر أنموذجا (من 1925- 1962)، الهيئة العامة للكتب، مصر، ط1، 1977، ص205.

من الأشياء المتميّزة في بنية النّص الشعري العربي الحديث و المعاصر تعدّد الأمكنة الشعريـــــــــــــــــــــة و انفتاح الشاعر عليها، فمع إعراض شعراء عن الأطلال، أبرزت أمكنة أخرى تشبّث بها الشعراء و تجلّى هذا الشعر في الوطن، حيث أضحى المكان يزلزل المشاعر لما فيه من ذكريات حميمية،"فكلّما تعلّق و ارتبط به الشاعر كلّما تحققت انسانيته لذلك نجد أن المكان الأول الذي يتجذّر من الذات الانسانية و هو البؤر المركزيّة التي تستقطب تفاصيل الحياة الشاملة و النواة الخفيّة التي تتمحور حولها التجربة الشعريّة."[2] ، و قد كان أكثر الشعراء تشبّثا بالوطن و أملا في المستقبل من غيرهم، **محمود درويش** الشاعر الفلسطيني، فقد ترك بصمة تؤكّد على تعلّقه و ارتباطه بالمكان المتجذّر منه، الوطن الأم فكان من بين الّذين آمنوا به خلاصا، و أضحى حبّه لازما أن يتحدّى الصعاب و قصيدته هذه خير دليل ذلك:

"علّقوني على جدائل النخلة

و أشنقوني فلن أخون النخلة

هذه الأرض لي...كنت قديما

أحلب النوق راضيّا

وطني ليس حزمة من حكايّا"[1]

فالمكان أي أصل وجود و تجذّر **محمود درويش** مقابل للنخلة الرامزة في الشموخ و الأصالة و الثبات و التشبّث بالأصل، حيث أكدّ الشاعر في هذه المقاطع أنّه لن يخون هذه النخلة، و في هذا يتطابق الشاعر مع بقيّة الشعراء العرب الّذين تتوحد رؤياهم فالمكان عندهم يستمدّ وجوده من الاسلام حيث قال أحدهم:"الوطن الجغرافي لا خير فيه، إن لم يعانقه وطن روحي"، لذا

[1]- محمود درويش، ديوان، دار العودة، لبنان، ط2، 1978، ص235.

نرى الشعراء و هم يقفون أمام هذه الأقاليم الممزّقة بصراحة عاريّة تماما، و بتحد واضح و في الوقت نفسه يطمحون إلى وطن اسلامي كبير، و معنى هذا أن هناك علاقة تأثير متبادل بين الشاعر و الوطن تتطغى فيها الجدليّة بين الانسان و المكان فليس المكان مجرّد وسادة، حيث نجد الشاعر يطرح في المدونة الشعرية قضيّة المكان حيث تغيب فيها النظرة الأحاديّة.

فالشاعر العربي لم تعدّ تحدّه الحدود الجغرافية التي وضعها الاستدمار الغربي، بل نجده تبنّى القضايا الوطنيّة بعامّة ، و أقوى دليل على ذلك الروابط الدينيّة الانسانيّة كانت أقوى الروابط.

4/ أنواع المكان:

من وجهة نظرنا أنّ المكان من أهم العناصر التي تشكّل جمال النّص إذ أنّ المكان الجغرافي لغة لتشكل النّص عبر الجمالية المكانية حيث تبرز تعامل الشاعر مع العنصر المكانيو الأهداف المتوخاة من ذلك، و إذا عدنا إلى المتن الشعري العربي قديما و حديثا لاحظنا بجلاء أنّ الشاعر العربي ارتبط كثيرا بالمكان و تغنى في شعره و نثرهلما يمتاز به المكان من طاقات ايحائية،و مظاهر جمالية و رمزية، لأنّ حالة الإبداع تحتاج إلى خلفية ثقافية يستقيها الشاعر من بيئته.

و بهذا أخذ النقاد و الدارسون ينظّرون التقسيمات المكانية وفق هذا المنظور.

أ/ **أمكنة عامّة** (**مفتوحة**):"يتسع لمناطق طبيعية يعطي الشاعر مرونة في وصف جمالياته بحرية دون تقيّد، و من هذه الأمكنة نذكر الأنهار، البحار، الصحراء"[1] ، فاحتوت أشعارهم على وصف الوديانو الجداول و البرك، لم تقتصر مظاهر الجمال على المفردات المذكورة بل شملت مظاهر طبيعية أخرى، لأنّ علاقة الإنسان بالمكان قديمة قدم الوجود الإنساني، حيث لجأ إلى الكهوف الطبيعيو الأشجار و اتخذها مأمن يحميه من حرّ الصيف و برد الشتاء، و قد خلق الله تعالى الأرض و مهدها و هيّأ سبل الحياة فيها، فقال الله تعالى:﴿**وَهُو الّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَّ وَ أَنْهَارْ**﴾الرعد **الأية 3** ورد ذكر المكان الواسع **قال الله تعالى**:﴿**ومَنْ يُهَاجِرْ فِي**

[1]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص57.

سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ الأَرْضَ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَاسِعَةَ﴾سورة النساء الآية100، و تتفرع الأمكنة العامة إلى:

- **أمكنة اجتماعية**:باعتبارها جزء من البيئة، و لها أثر في تقاليد النّاس، و نظام السكن و المناسبات و العلاقات الاجتماعية و المناسبات، فنشأت الأعراف الاجتماعية تأخذ في بعض سماتها من المكان

فكان الشاعر دائم الترصّد للمظاهر الجمالية للمكان مدققا في رسم صوّر مختلفة و الوصف البارع لها، و من بين هذه الأمكنة المساكن حيث تجلّت في النفس الأنس فالرستميّ يضيف جماليات أخرى في وصفه لها فهي التماثيل الجميلة في من وعول و طيور، تضيف إلى جمالها حياة و أنسا و بهاء.

و أوردها **الثعالبي** قائلا:و هو أحسن ما سمعت فيه على كثرته و منها:

"يناطح قرن الشمس من شرفاتهــــــــــــــــــــــــــــــــا
صفوف ظبّاء فوقهن مواثـــلا

وعول بأطراف الجبال تقابـــــــــــــــــــــــــــــــلت و مدّت قرونا للنّطاح موائـــلا

كأشكال طير الماء مدّت جناحها و أشخصن أعناقا لها و حواصـــــــــــــــــــــــــــــلا"[1]

إنّها صورة للحياة اجتماعية خاصّة، وجدت حينها لكنّها تمثّل الطبقة المترفة المتنعّمة، و يتضح ذلك جليّا في رصد الظاهر الجمالية للأمكنة الاجتماعية أيضا نذكر على سبيل المثال موقد النّار، الحمام نظرا لأهميتهما و مدى الحاجة إليهما.

ب/ الأمكنة الخاصّة: للمكان الخاص تأثير في علاقته مع الآخرين، فالمكان السكني هو أول منطلق للانسان و في هذا الصدد تقول أحلام مستغانمي" المصدر المصور من خلال خلجات النفس و تجلّياتها و ما يحيط بها من أحداث ووقائع"[2] و من خلالها انطلق الأدباء للتعبير عن مفاهيم الأماكن الخاصّة التي تخطّت حدود البيت ليجدوا ضالتهم في الأماكن العاطفية و هذا يعني أنّها اسقاط للأماكن العامة، و لعلّ :"المكان في مقصوراته المغلقة لا حصر لها يحتوي على الزمن مكشفا هذه و طبقة المكان"[3] ، و **من أمثلة الأمكنة المغلقة:**

- **البيت:** من بين الأمكنة الخاصّة يؤدّي الوظائف و الخدمات الأساسية لصاحبها في حياته "فالبيت الذي ولدنا فيه، قد حفّز في داخلنا المجموعة الهرمية لكلّ وظائف السكنى."[4]

باعتبار البيت المغذّي للإحساس بالأمن و لملء قلوبنا بالعاطفة و الدفء و ممارسة النظام اليومي الّذي يضع فينا القدرة على التعامل.

- **الأمكنة الدينية:** لم تقتصر الأمكنة المقدّسة في المفهوم العام على الكعبة المشرفة و المدينة المنوّرة، بل تخطّت اهتماماتهم ذلك إلى ذكر المساجد و قبور الصحابة و التابعين.

[1]- حماد تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق ، ص85.

[2]- أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2010،ص328.

[3]- أحمد حمد النعيمي، ايقاع الزمن في الرواية العربية للعاصرة،عمان، الأردن، ط1، 2004، ص78.

[4]-غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط2، د ت،ص44.

- و **الأماكن التاريخية** التي ترتبط برمز ديني عنه الأمم السّابقة، فلقد شغل المكان الديني أدباء كثيرون فوظّفوها خير توظيف، نجد الصرصري يذكر مكّة و هو يشتاق لزيارتها و حج بيت الله و يعبّر عن ذلك بقوله:

"هي في غزّة المواسم تـــــــــــــــــــاج و على حلّة الهوى كالطراز

هل تراني أحوز يوما بنعمـــــــــــــــــا ن نعيما يلذّ للمجتـــاز

و أنال المنى يجمعو و خيف و منى آمنا من الهمّـــاز

ثم أخطئ بلثمي الحجر الأس ود لثاما بضمّة و التـــزاز"[1]

5/ أبعاد المكان:

من المعارف التي تعلمناها منذ الصغر أنّ للمكان أبعاد ثلاثة و هي الطول و العرض و الارتفاع، و لكن جاء الفيزيائي الشهير:"**ألبرت أنشتين**" ليبثّ الزمان بعدا رابعا معتبرا في النظام الإحداثي و قد أشار الله تعالى في قوله:﴿ **هُوَ الأَوِلُ و الآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ البَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾**سورة الحديد الآية 3**، فالمكان في الحقيقة له بعدان ظاهر و باطن و كلّ مخلوق هما عظم أو لطف فله هذينالبعدين، لأهميته البالغة مع العناصر المتداخلة مع عناصر النّص و التي تتجلّى في العديد من الأبعاد نذكر منها:

[1]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص119

أ/ **البعد الجمالي(الفني)**:بمعنىأنّ المكان في الإبداع الأدبي عامّة و في الّإبداع الشعري خاصة ليس صورة فوتوغرافية أوشكلا مرسوما إنّما هو تعبير أو تلفّظ لغوي أو دال يحمل في ذاته مدلولا ثم يحيل على مرجع معين يعطي للدّال فرصة كبيرة يتناسل من خلالها.

ب/ البعد السياسي: يتجلّى هذا البعد في طبيعة العلاقات التي تربط بين جماعة بشرية محدّدة داخل قرية أو مدينة و نماذج السلطة في تراتباتها" هي نماذج يتداخل فيها الاجتماعي و السياسي بطبيعة الحال، حيث تبدأ من الأب و رئيس المدينة انتهاجا للسّلطة السياسية العامّة و المباشرة."[1]

ج/ البعد المادّي الطبيعي: يتجلّى هذا البعد من خلال وصف ماديات الأماكن من خلال رصد الأدباء لعناصر الجمال في البيئة فعبّروا عنها بأحسن ما يكون التعبير الجمالي، مثل وصف جماليات الصحرا و عمقها الأليف الذي لا يملك حدود وصف الأنهار مع أموجها و على مائها الرقراق و طبيعة الأرض التي تشكّل حياة الانسان، فما إن يفتح الإنسان بصره حتى يصطدم بالأرض على مظاهر طبيعية لا حصر لها لقوله تعالى:﴿ **وَ الّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَّ وَ أَنْهَار**﴾**سورة الرعدالآية 3.**

د/ البعد الأسطوري: يدخل في ذلك المكان الرسمي لما يحمله من دلالات رمزية أسطورية و من أمثلة هذه الأمكنة القصور حيث يبدو صاحبه بطلا أسطوريا كما أنّ القصر يحمل دلالات كثيرة يتعدّى ذلك إلى مفاهيم أوسع و أشمل، فهو الوطن و الكيان الّذي يحمل المكان و التاريخ و المطامح"[2] .

و/ البعد الفلسفي: تناولت الظاهر المكانية بكليتها قديما وحديثا، من خلال ما أدرك الإنسان أثر المكان في حياته، و دوره الفاعل في رسم العلاقة بينه و بين العالم المحيط به، فعند القدماء

[1]- السيّد اسماعيل، بناء فضاء المكان في القصّة العربية القصيرة، ، مرجع سابق، ص8.

[2]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص163.

مثلا: تجسّد المكان و اتخذ طابعا مثيولوجيا"ينقسم إلى ثلاثة عوالم رئيسة، الماء، الأرض، و العالم السفلي و هي مأهولة بالآلهة و البشر و الأموات على التوالي"[1] و أخذت هذه الرؤية تتطوّر مع تتطور الفكر البشري من خلال التعامل القائم بين الإنسان و الظروف و الأحداث التي تنتاب ذلك العالم.

نخلص إلى أن هذه الأبعاد المكانية، تناولت الظواهر بكلّيتها في المكان من حيث ترابطها و تماسكها و تغيّرها حتى الوصول إلى الكشف عن صورة المكان.

6- أهمية المكان في الشعر:

ففي شعرنا العربي نجد الالتحام بالمكان منذ عصر ما قبل الاسلام، فكان الوقوف على الأطلال سمة بارز**ة لدى** الشاعر الجاهلي و عنصر لا يمكنه الاستغناء عنه، فكانت الأماكن مجموعة من المثيرات و السبب في إثارة العواطف و تصوير العودةو الحنين إلى الماضي الضائع و مثيرا للأحاسيس.

و من هنا جاءت أهمية المكان في هذا الشعر"و من منطق هذه الظاهرة أصبحت مستهلاّ و باعثا من بواعث أصالة القصيدة العربية، و بل و بنية من أبنيتها التي عدّت أساسا في تركيب القصيدة العربية لبقيّة العصور."[2]

و خلاصة القول أنّ المكان كان باعثا من بواعث قول الشعر و جسّدت دلالات مختلفة لدى الشاعر الجاهلي أو الحديث و المعاصر، فمثّل الألفة و العدائية الغربة و الحنين، أمّا الغرض الشعري فكان حسب مناسبة القصيدة التي يريد الشاعر أن يلقيها، و تنعكس آثار المكان سلبا أو ايجابا على الشاعر، فألفة المكان و عدوانيته تتحقق بما يتركه في النفس، و آثار المكان و رهبته واضحة على نفسيّة الشاعر فذهب قائلا:

---

[1]- محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، مرجع سابق، ص18.

[2]- االمرجع السابق، ص20.

"أضاعوني و أيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة و سداد ثغـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــر

و صبر عند معترك المنايـــــــــــــــــــــــــــــــــــا و قد شرعت أنستها بنحري

أجرار في الجوامع كلّ يـــــــــــــــــــــوم فيا الله مظلمتي و صبــــــــــــــــــــــــــــــــــــــري"[1]

إنّه الاحساس بالضياع و تقلّب الزّمان به، و ضيق المكان ووحشته جعله يفخر بنفسه حتى يتخلّص، ممّا هو فيه من حرمان و شدّة و ضنك و تقيّد للحرية.

و الّذي يمكن استخلاصه ممّا سبق هو أنّ المكان ليس حيّز أو فضاء للحياة فقط فمثلما يكتسب معناه على الصعيد النفسي للشخصيّة التي بامكانها أن تمتلكه أو تفتقده، فهو يدلّ أيضا ايديولوجيّا و أخلاقيا و اجتماعيّا حسب التجربة و بالتالي:"فهو ليس الحيّز الّذي يحتوينا و يوفّر الحماية و الدفء لنا فحسب و إنّما هو ذلك الكائن الّذي يحيا في دواخلنا و يورثنا قساوته و سيولته و بشاعته".[2]

نفهم من هذا أنّ أهمية المكان ازدادت في الوقت الحاضر فضلا عن اختلاف رؤيّة الانسان و موقفه اتجاهه.

[1] - محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، مرجع سابق ، ص28.
[2] - المرجع نفسه، ص108.

فصل أول:

"المدينة في الأدب العربي"

أولا: المدينة في الشعر العربي

1/ تعريف المدينة

2/ المدينة عبر العصور

3/ أبعاد المدينة

4/ تصوير شعراء الجزائر لوطنهم

5/ الموقف من المدينة

ثانيا: تلمسان

1/ معنى كلمة تلمسان

2/ تلمسان و ارتباطها بالموقع الجغرافي

3/ موقع تلمسان تاريخيا و عمرانيا

4/ تلمسان عند الرحالة

5/ تجليّات تلمسان في الشعر

أولا: المدينة في الأدب العربي:

تعدّ المدينة احدى القضايا الأساسية في الشعر العربي، حيث حاول الشاعر من خلال وعيه بالحياة الواقعية و تفاعله معها، و بيّن موقفه منها سواء كان سلبي أو إيجابي لتكون بذلك مرآة عاكسة أو مناقضة للبنيّة الحضاريّة و التاريخية المختلفة.

ومن هنا فدراستنا لموضوع المدينة يستند إلى الدراسات السّابقة عن المرأة و الثورة و غيرها، و من هذه النقطة بدأ النقّاد سواء العرب أو الغرب بالانشغال بقضيّة المدينة حلّلوها في مختلف جوانبها و تطرّقوا إليها في مختلف الفنون النثرية أو الشعرية ، في القصّة و الرواية و في الشعر و في الأداب الأساسية (الروسي، الفرنسي، الأمريكي، الألماني)حيث تطرّق لمضوع المدينة مجموعة من الآدباء و الدارسين و النقّاد نذكر من بينهم، ابراهيم روماني، جمال فوغالي، عبدالله حمّادي أحلام مستغانمي غيرهم كثر، و نحن هنا قمنا بوضع تعريف لغوي و آخر اصطلاحي محاولين التوغّل قدر المستطاع لكي نحيط بالموضوع المدروس.

1/ تعريف المدينة:

أ/لغة: المدينة لفظ مأخوذ من مادّته المعجميّة مدن، و قد ورد في معجم ابن منظور المدينة هي " الحصن و يبنى في اصطمة الأرض مشتقة من ذلك و كلّ أرض يبنى بها حصن في اصطمتها فهي مدينة و النسبة إليها مدني"[1] ، إلاّ أنّ هناك رأي آخر يختلف فيه صاحب تاج العروس و هو تأكيد على صحّة الإقامة حيث يقول:"مدن بالمكان أقام به".[2]

و هي أيضا الكلمة المشتقة من كلمة دين ذات الأصل السامي لقوله عزّ و جلّ:﴿**وَ مَمِنْ حَوْلِهِمْ فِي الأَعرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَ لَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لَا نَصَبٌ وَ لَا مَحْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الكُفَّار وَ لَا**

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار صادر ، بيروت، لبنان ، ط1، 1990، مادة مدن، ص415.

[2]- مجيد اسماعيل منقول عن مقال في الموقع:.phphtt=www.quran-mcontinaitde، 10:15، 13- 3- 2016.

يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ وَ نَيْلا إِلاَّ كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَل صَالح إِنَّ الله لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحسنِين﴾سورة التوبة ، الآية 120.

"**مدن**:مدن بالمكان أقام به،فعل ممات ومنه المدينة، وهي فعليّة، و تجمع على مدائن بالهمزة و مُدنٍ و مدُن بالتخفيف و التثقيل، و فيه قول آخر: أنه مفعلة من دنت أي مِلكت.

و المدينة اسم مدينة سيدنا رسول الله صلّى الله و عليه و سلّم خاصة غلبت عليها تخيّيما لها شرفها الله و صانها و إذا نسبت إلى المدينة فالرجل و الثوب مدنّي، و الطير نحوه مدينّ لا يقال غير ذلك".[1]

ب/اصطلاحا: تنوعت تعريفات المدينة و تباينت بإختلاف مشاربها و منابعها:" فمدينة الجغرافي تختلف عن مدينة عالم الاجتماع أو عالم الاقتصاد، و كذلك تختلف عن مدينة الأديب أو الشاعر"، وكل منها يعطيها مفهوما خاص بها يتلائم و الجانب المدروس و لكنّها في العموم ليست مكانا للإقامة فقط بل هي أيضا مكانا يؤدي فيه العمل و التكوينو الثقافة و التسلية و الإلتقاء و إن التعقيد لهذه المظاهر هو الّذي فسر يوميا في حياة السكان.

إذن فقد تطور مفهوم المدينة فلم يعد مكان الإقامة كما عرف قديما، بل أصبح يحمل في طيّاته مفهوما أكثر تعقيدا.

"تعني انتماء حدّ معيّن من السّكان إلى موقع جغرافي متميّز يتفاعلون على شكل ظاهرة اجتماعية متعدّدة الوظائف قوامها إدارة و طبقات من السّكان يتوزّعون وفق وصفات اقتصادية و ثقافيّة في إطار قانون قويّ واضح ينظّم العلاقات و الأفعال و يضيف مرحليا نتائج ماديّة و فيزيائية و أخرى

[1]– عبد الأحد السبتي ، حليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الاسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994،ص14.

معنوية فلسفية تراكمية في المكان".[1]

فهي فضاء جغرافي يجمععدد من السّكان، و ينم عن ذلك التجمع علاقات اجتماعية تجعلهم يتميّزون فيها و يختلفون تفرضها في ذلك صفاتهم الاقتصادية و الثقافية.

2/ المدينة عبر العصور:

تعدّ المدينة المسكن الطبيعي و هي المكان الانساني الأفضل شأنها في ذلك شأن كلّ تجمّع بشري كالقرية و الباديّة، و المدينة بوصفها ظاهرة مكانية خاضعة لتطوّر زمني ركّز عليها الأدب وشحنها برموز و دلالات مختلفة و سنحاول فيما يلي تتبّع هذه المواقف التي حواها التراث الإنساني لنتبيّن تطوّر المدينة من خلاله، فالحاجة النفسية و الجسديّة أدّت بالإنسان القديم إلى تأسيس المدينة فكانت رابطة اجتماعية تشدّ ساكنيها إلى ساحتها بغرض التعامل التجاري و الجدال الفلسفي.

أ/ صورة المدينة عند الاغريق:

برزت المدينة لدى الشاعر و الفنان الإغريقي بروزاواضحا حيث تألّق الشعراء في مخاطبتها و رسم دلالاتها و أبعادها حيث تقول أساطير الاغريق أن أسوار مدينة طيبة شيّدت من طوب القصائد و موسيقاها و لقد كانت هذه المدن تقدّم للفنانين " ينابيع مدهشةو جديدة للشعر و أسبابا للتفتّح الجسدي و الروحي".[2]

فالمدينة عند الاغريق مدينة:"ذات وحدة حضارية متكاملة تصوّر أصول المنطق و العقلانية."[3]

[1]- مجلة جامعة العلوم الهندسية، المجلّد الثامن و العشرون، ع1، 2012، ص155.

[2]- قادة عقاق، دلالة المدينة في الشعر العربي المعاصر، دراسة في اشكالية التلقي الجبالي للمكان، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001، ص 2.

[3]- المرجع نفسه، ص24.

فكان الشاعر الاغريقي يحاول بكلّ الطرق حماية مدينته حيث يتسنّى له تحقيق نوع من التوازن و الصفاء الروحي فالمدينة عنده مرتبطة بالآلهة مازالت حيّة بصورتها الجميلة و من خلال هذا العرض نستطيع القول بأنّ مدينة أفلاطون على الرغم من ادعائاتها الفضيلة و العدالة و الحضارة، إلاّ أنّها تبدو غير ذلك تماما، لكون الطبقية أساسها و الإعدام دينها في سبيل أن يظلّ"عدد من السكان في المستوى الّذي يكفل سعادة المدينة و أن يحتفظ بقيمتهم المدنية و الأدبية.

و هكذا كانت المدينة موضوعا أثيرا لدى شعرائهم فالشاعر الاغريقي لم يجد موضوعا أشدّ وقعا في النفس من رؤية احتراق مدينة أو الوقوف على أطلالها و لكن ما تجدر الاشارة إليه هو أنّ تناول شعراء الإغريق لمدنهم لم يكن من هذا الجانب فقط- جانب الايجابية فيها- بل تناولوها من جوانب آخرى.

ب/ جماليات المدينة في الشعر الجاهلي:

- الشاعر الجاهلي لم يكن بمنأى عن وصف الأمكنة و مناجاتها فقط، بل كان له تصوّر خاص نحو المكان، موظّفا ذلك داخل النّص الشعري، ممثلا في البكاء على الطّلل و المقدّمة الطللية، فالمكان هو الذي يوجّه حياة الجاهلي و يفرض وجوده ممّا جعله يتعامل مع مظاهره تعامل خاص، و بالتالي استدعاءه داخل المدوّنة الشعرية ذا أهمية كبيرة، و بالتالي تحضّر المقدّمة الطلليّة داخل النّص الشعري في صدارة القصائد الجاهلية، يقول ابن قتيبة:"إنّ مقصد القصيد إنّما ابتدأ بذكر الديّار و الزمن و الآثار، فشكى و بكى، و خاطب الربع، و استوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الضاغنين عنها".[1]

ففي مقدّمة القصيدة الجاهليّة يقف الشاعر بذكر الديّار و يشكو همومه باكيا و مخاطب الطلل و الزجل بمحبة رفقائه.

[1]- ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، دار المعارف، القاهرة، مصر،دط، 1423ه، ص75.

و المكان يختلف من شاعر لآخر و طرفة بن العبد من شعراء المعلّقات الّذي وقف على الطللّ، و جعله من صدارة معلّقاتهم فقد كان حاضر في ذاكرته أكثر من نفسه بما فيه من مضاعفات شعوريّة، و في هذا نجده يقول:

"أتعرف رسم الدار قفرا منازله كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله"[1]

الشاعر هنا يستوقف ليبكي رسم هذه المنازل التي لم يبقى منها سواء بقايا شاهدة و هذا الشعور اتجاه المكان نجده في القصائد الجاهلية و بالخصوص عند **امرئ القيس** مثلا في:

قفا نبكي من ذكرى حبيب و مترل بسقط اللّوى بين الدخول فحومل

فتوضّح فالمقراة لم يعف رسمهـــا
لما نسجتها من جنوب و شمــــــــــــــــــــــال.

ترى بعرى الآرام في
عرصاتهـــا
و قيعانها كأنّه حبّ
فلفــ
ـــل.[2]

يستوقف الشاعر نفسه و غيره، ليبكي هذه المنازل المخيفة التي بقيت بقاياها دليل عليه بسبب رياح الجنوب ظاهرة طبيعية" فأصبح المكان منذ ذلك الوقت ملجأ للحيوانات و الوحوش البرّيّة".[3]

---

[1]- ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، لبنان، ص142.
[2]-ابن جعفر، شرح المعلّقات السبع، بيروت للطباعة و النشر، لبنان، 1980، ص (3-5).
[3]- المرجع نفسه، ص28.

فقد جعل الشعراء القدامى من موضوع الأمكنة غاية للتأسي و البكاء على المنازل و الديّار و الوقوف على الدمن و الأطلال، ففيها تظهر معاينة التخريب الّذي حلّ بالكون و الإنسان، و يظهر كأنّ الشاعر الجاهلي يتشوّق و نفسه تطوق إلى استقرار حضاري، و هنا يتحول الوقوف على الأطلال عند الشّاعر الجاهلي و كأنّه منبع لتفريغ الهموم و الأحزان عن طريق محاولة الرجوع بالزمن إلى الوراء و من ذلك قول**ابن أبي مريم** في ذكر المنازل:

هذي منازل أقوام عهدتهم

م في خفض عيش و عزّ ماله خطر.

صاحت بيهم نائبات الدهرفانقلبوا إلى القبور، فلا عين و لا أثر[4]

و قول **الأسود بن يعفر**:

ماذا أرجى بعد آل محرق

درست منازلهم و بعد إياد

أهل الخورنق و السّدير و بارق و القصر ذي الشرفات من سنداد

جرت الرياح من محلّ ديارهم فكأنما كانوا على

[4]– أسامة بن مقذ، المنازل و الديار، تحقيق الأستاذ مصطفى حجازي، القاهرة، ، مطابع الأهرام التجارية، قيلوت، مصر، دط، 2004 ،ص6.

ميعـــ
ـــــــــــــــــــــاد[1]

الشاعر هنا بصدد التساؤل عن ماذا حلّ **بآل محرق** بعدما تركوا منازلهم معرجا إلى أهل الحيرة و قصورهم و أنهارهم و آل محرق، هنا يقول امرؤ القيس بن عمر السباق إلى بكاء المنازل:

قفا نبكي من ذكرى حبيب و منزل بسقط اللّوى بين الدخول
فحومـــــــــــــــــــــــــــل

فتوضح، فالمقراة لم يعف رسمهــــــــــــــــــــــــــــــــا لما نسجته من
جنوب و
شمــ
ـــــــأل

وقوفا بها صبحي على مطيّهـــــــــــــــــــــــــــــــــم يقولون لا
تهلك أسى و
تجمّـــل

و إن شيفائي عبرة لو سفّحتهـــــــــــــــــــــــــــــــــا فهل
عند رسم دارس من
معــوّل؟[2]

امرؤ القيس هنا لم يجد سواء الذاكرة عونا لاستدعاء تلك الصوّر المتداعمة و قد ربط الشاعر فقدان المكان بالمرأة و الأرض و المطر، بغيب هذه العناصر ينعدم الوجود الانساني، و لنا أن

[1]- المرجع نفسه، ص6.
[2]- أسامة بن مقذ، المنازل و الديار، تحقيق الأستاذ مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص31.

نجزم في الأمر و أنّ الشاعر الجاهلي لم يقصد التفنن في القول إنّما جاءت الأبيات و ما اشتمل عليه من معاني الفقد و الزوال تلبية صادقة لدواعي الموقف.

الشاعر الجاهلي لم يبكي بين الأحبة بقدر ما بكى خلو الدّيار من أهلها و كأن نفسه كانت ملتاعة إلى استقرار حضاري، و لذا بكى لخيبته و وقف أمام الطلل و اتخذه ملجأ و عونا لاستحضار الذكريات الجميلة و أيام الطفولة.

و في خضم هذا نجد **المتنبي** يقول:

"أثلث، فإنّا، أيّها الطلـــــــــــــــــــــــــــــــــل نبكي،
و ترزم تحتنا الإبـــــــــــــــــــــــــل

لو كنت تنطق قلت معتـــــــــــــــــــــــذرا بي غير ما بك أيّها الرجـــــــــــــــــــــل

أبكاك أنّك بعض من شعفوا و لم أبك أنّي بعض من قتلوا

إنّ الّذين أقمت و ارتحلـــــــــــــــــــــــــوا أيّامهم لديـــارهم دول."[1]

الشاعر هنا يأمر الطّلل أن ينضمّ إليه و إلى الإبل في قوله أثلث لكي يشاركهما في حزنهما، فهو يبكي و الإبل ترزم ملقيّا اللّوم و معاتبا في الوقت ذاته و المعنى أنّك تبكي لأنّهم شغفوك حبّا بفراقهم، أمّا أنا فلا أبكي لأنّهم قتلوني بارتحالهم، و في ضبط تاء أقمت بالضمّ على أنّه من كلام الطلل.

[1]– أسامة ابن منقذ، المنازل و الديّار، مرجع سابق، ص114.

- إن المتأمل للشّعر الجاهلي يجده يحمل في طياته أشعارا تحدّثت عن نكبات تعرّضت إليها الممالك الزائلة مثل قصيد عدي زيد العبادي الّذي يعرج فيها إلى الحديث عن انقلاب الزمن بالأمم منذ عهد نوح عليه السّلام مرورا بقوم عاد فثمود...فقد أصبحت تلك الأمم حكايات تداول عبر الزمن، إذن" الشعر النكبوي الجاهلي مع تعدّد حالاته و تلوّنها فقد اقتصر على تناول مصير الممالك و الأقوام و لم يتجاوزه إلى غيره."[1]

نفهم من هذا أنّ هناك بعض التناولات من طرف الشاعر الجاهلي لرثاء المدن.

ج/ المدينة في صدر الاسلام:

إذا كان لابدّ من مسايرة فكرة المدينة في صدر الاسلام فلابدّ أن نفتتح بالقرآن الكريم حيث استقرّ الناس بعد اضطراب و ترحال، و آمنوا بعد خوف فأرست مقاليد نظام الحكم و تأسست المدن، لذلك جاء معناها في القرآن الكريم بمعنى مستقر الحكّام و مركز السلطة لأنّ القادة العرب كانوا جبابرة ظالمين و مستبدّين خارجين عن الطريق المستقيم لقوله عزّو جلّ:﴿**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَون بِجُنُودُهِ فَغَشِيَّهُمْ مِنْ أَلِيمْ وَ مَا غَشْيَّهُمْ أَضَلّ فِرْعون قَومَه وَ مَا هَدَى**﴾**سورة طه الآية 78-79**، فأخبارهم و صفاتهم نجدها تتكرّر في الكثير من المواضع فالمدينة في صدر الاسلام كانت مركز للتبادل التجاري لقوله عزّ و جلّ:﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرَقِكُمْ هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِيَّكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ**﴾**سورة الكهف الآية21**، لكن صفات أهلها تتفشّى فيهم صفة اغتصاب أموال الضعفاء، و هذا ما تجلّى عنه تأويل **الخضر لموسى** لما كان يقوم به في أثناء رحلته لقوله:﴿**أَمَّا السَفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فَأَرَدَتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَ كَانَ وَرَائَهُم مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَة غَصْبًا...وَ أَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِمَيْنِ فَي المَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَمَنْزِلِهِمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالحًا فَأَرَادَ**

[2]- محمّد حمدان، أدب النكبة في التراث العربي (أدب النكبات، المدن ذات الأسباب الداخليّة في المشرق العربي في العصر العبّاسي)، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2004 ص36.

رَبّك أَنْ يَبْلغَا أَشَدَّهُمَا وَ يَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنَ رَبِّكَ﴾ سورة الكهف الآيتين 78 و 82، فهم على الرغم من هداية الأنبياء لهم إلاّ أنّهم تمادوا في الكفر و فسدت أخلاقهم، و على الرغم من جزاء الله لهم إذا آمنوا من خيرات من السماء و الأرض لقوله:﴿**وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَ اتَقَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٌ مِنَ السَمَاء وَ الأَرْضِ﴾سورة الأعراف الآية96**و على ضوء ذلك يتبيّن لنا من خلال هذا العرض المبسّط للمدن في صدر الإسلام نجد أنّ معظم الأمكنة التي ترد فيها لفظة القرية تأتي دليل على صفات و أعمال و أفعال أهلها لأنهم لم يؤمنوا بذلك فعقاب الله لهم أكيد و عاقبتهم دوما هي الهلاك لقوله تعالى:﴿**وَ تِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا جَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾سورة الكهف الآية59.**

- أمّا إذا انتقلنا إلى العصر الاسلامي عصر الرسول (صلّى الله عليه و سلّم) و الخلفاء الراشدين فنجده لم يعرف رثاء المدن، لانشغالهم بالعديد من الأمور، منها فتح الأقاليم المعاديّة للإسلام و محاربة الكفّار و الطّغاة، و دعوة الناس للدخول في الدّين الإسلامي.

فأصبح الأمر مختلفا تماما بعد مجيء الإسلام" و صار الّذي يقول الشعر أو يخطب في المجامع، أو يتحدّث في المجالس لا ينطق إلاّ بحذق و لا يقول إلاّ بميزان فلا يتلفّظ بهجر مزر أو أدب معيب أو كلام هزيل أو بيان مرذول"[1] وصدى هذا الحديث واضح في أشعار حسّان بن ثابت رضيّ الله عنه حين قال:

"بطيبة رسم للرسول و معهـــد

منير و قد تعفو الرسوم و تهمـــــــــــــــــــد

و لا تنمحى الآيات من دار رحمةبها منبر الهادي الّذي كان يصعد

[1]- محمّد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتّى سقوط الخلافة، مرجع سابق، ص24.

و واضح آيات و باقي

معـــــــــــــــــــــــــــــــالم

و ربع له فيه مصلى و مسجـــــــــــــــــــــــد"[2]

فيقف الشّاعر على هذه الأمكنة المقدّسة، إنّها ليست آثار الجاهليّة و أطلال الحبيبة بل هي ديّار الرسول محمّد (صلّى الله عليه و سلّم)، فيذكر مدينة طيبة مدينة الرسول و يبكي الآثار فهذه الأماكن واضحة المعالم، شاخصة لا تغيّرها صروف الزّمان، إنّا شعلة النبوّة و آثار المسجد التي تتوهج كلّما مرّ عليها الزّمان، و تلافيها المسلمون آيات الذكر الحكيم، إنّها أماكن الرسول تضيء نورا في الأذهان و في القلوب فيرسمها باقيه، و آثارها متجدّدة في كلّ وقت و حين.

كما كان المكان في أيام خليفة عمر منفذا للخروج من المأزق الّذي وقع فيه و ليعبّر عن معاناة قاسيّة عاشها في السجن، فنلاحظ الوصف المأساوي للسجن، و ما من سبيل إلاّ أن يرسل أبياتا شعرية يستعطف فيها الخليفة و يلجأ أيضا إلى وصف للمكان بأنّه قعر مظلم:

"ماذا تقول للأفراخ بذى مـــــــــــــــــــــــــــــــرخ

زغب الحواصل لا ماء و لا شجر

غيّبت كاسبهم في قعر مظلمـــــــــــــــــــــــــة فاغفر عليك سلام

الله يا عمـــــــــــــــــــــــــر

أنت الأمين الّذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى

البشـــــــــــــــــــــــر"[1]

---

[2]- المرجع نفسه، ص (24- 25).

[1] محمّد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتّى سقوط الخلافة، مرجع سابق ، ص (25- 26).

د/ العصر الأموي:

العصر الأموي لم يكن أثر المدينة فيه أقل شأنا في الشعر من العصور التي قبله فهذا مالك بن الرّيب أضناه البعد عن الأهل و الأحبّة و عصفت به ريّاح الغربة فذهب قائلا:

"ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلـــة بجانب الغضا أزجى القلّاص النواجيا

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه و ليت الغضا ماشى الرّكاب ليالـــــــــــــــــــــــــــــا

لقد كان من أهل الغضا لودنا الغضا مزار و لكن الغضا ليس دانيّـــا"[2]

فهو متشوّق لديار أهله و يتمنّى لو أنّه يستطيع أن يأوي إليها، و يبيت فيها و لو ليلة واحدة، و يسوق الإبل شأنه شأن فتيان قبيلته و يلجأ إلى تكرار اسم (الغضا) محاولا إظهار لوعة الشّوق و الحنين إليه.

إضافة إلى هذا عرف العصر الأموي العديد من الممالك، و قد برز فيه الغرض الشعري الرثاء و بالأخص رثاء الممالك الذي اشتهر بشكل كبير بين الشعراء في ذلك العصر، و كان هذا إشارة إلى النكبات التي حلّت بالممالك في العصر الأموي خاصّة بعد الفاجعة التي حلّت بالدولة الأموية على أيدي العباسيين، فرثاها العديد من الشعراء منهم: عبد الله بن عمر العبلي، حيث

[2]-مرجع نفسه، ص49.

عدّد الأماكن التي قتلوا فيها حتّى إنّه يحسّك بأنّ الذي حلّ أكبر من حملهم، حيث تطرق في "قصيدته إلى الاشارة إلى نكبات مدن الشّام و لكنّها لم تلبث طويلا عند تلك النكبات."[1]

و في الأخير نخلص إلى أنّ رثاء الممالك عرض موجود في الشعر العربي القديم أمّا رثاء المدن عكس ذلك كانت له ارهاصات فقط.

ه/ المدينة في العصر العباسي:

العصر العباسي و كما هو معروف هو عصر الازدهار و التطور في مختلف المجالات الحضاريّة و الثقافيّة و ما نتج عن ذلك طغيان عمراني، و تكدّس للأحياء ممّا أدى إلى التزاوج في ردود الأفعال بين القبول و الرفض لهذا الوضع، و قد تراوحت هذه الردود في الرفض التام و الانعزال و الانفصال، و لقد تجلت حساسية المدينة و قوة التعبير عنها على أشدّها في هذا العصر عند كلّ من أبي نواس و أبي تمام، حيث جادت قريحتهم بالقصائد التي جاءت تصويرا حيّا لمأساة المدينة حيث صوّر كل ما حلّ ببغداد من خراب و دمار.

و في المقابل حظيّت الأماكن الطبيعيّة"باهتمام الشعراء العباسيين في هذه الحقبة، فكانت الطبيعة البكر عاملا لتجمعات بشريّة و ازدهار الحضارات، لما تبديه من معاني الإغراء في أنهارها و بحيراتها المكتسبة بالخضرة، و تشمل هذه الأماكن الطبيعيّة مظاهر عديدة من أهمها الجبال، و الكثبان و الوديان، و الأنهار و البحار و الصحراء."[2]

[1]- محمد حمدان، أدب النكبة في التراث العربي، مرجع سابق، ص49.

[1]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص178.

و لابراز تجربتهم نذكر الأنهار لصلة الشعراء العباسيين الوثيقة بها، فكانت الأنهار و المياه الجاريّة أكثرها اهتماما في شعرهم حيث ألفتها نفوسهم، حيث عبّر الشاعر العباسي عن ذلك بقوله:

"و النهر بين اعتـــــــدال
من سيره و تـــــــأوّد
كأفعوان
تـــــــ
ـــــــلوى ثمّ استوى و
تمـــــــدّد
كأنّ فيه
سيوفـــــــ
ـــــــا مهنّدات
تجـــــــ
ـــــــرد
فتارة هي تنضـــــــى
و تارة هي تغمـــــــد"[1]

كما اكتسبت الكثبان و الروابي حضورا واضحا في ميدان الشعر في هذه الحقبة، و كانت مجالات خصبة في جماليتها، و ابن نُباتة السّعدي يمتدح ليل الكثيب، حين تهبّ عليه النسائم

[1]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق ، ص179.
[2]- المرجع نفسه، ص190.

النديّة، المحمّلة بأريج الريّاض المزهرة، و يشعّ في جوّ المكان عطرها المنعش و تألّف النفوس هذا المكان، و يعبّر عن ذلك بقوله:

"ألا حبّذا ليل الكثيب و فائـــــــــــــــــــح　　　　من الروض مهجور الفناء خصيب

تنفض منظوم الندى عن فروعه　　　　يمانيّة تندّى به و تطيـــب

إذا ما النسيم الفجر باشر نشره　　　　تنبّه منه سائق و جنيـــب [2]".

هكذا وجد الشّاعر العباسي في الأماكن الطبيعيّة الحياة الانسانيّة الدافئة، في جمال مظاهرها الطبيعيّة التي ألفتها نفوسهم، فكان عمق التجارب المعاشة كفيلا بتقويّة العلاقات بين الشاعر مكانه بغضّ النظر عن طول أو قصر المدّة الزمنيّة.

و/ المدن في الحضارة الأندلسيّة:

لقد شهدت الطبيعة الأندلسيّة الخلابة ترف و لهوّ لم يشهد له العربي مثيلا، ممّا جعل الشاعر الأندلسي شغوف بطبيعتها الساحرة، فأصبحت لديه أماكن الأندلس محبّبة إلى النفس يستنبط منها صوّرا موحيّة بهذه الألفة و المحبّة وهذا ما نجده في المدينة الأندلسيّة التي بلغت حدّا لم تشهده أي بلدة من بلدان التي سكنها العرب و المسلمون.

و هذه الطبيعة الأندلسيّة الآخاذة خلقت من الشعراء الّذين تغنّوا بأخبارها و أوصافها بمثابة الشحن لذاكرتهم باستمرار بشتّى الصّور الباعثة على الحياة الانسانيّة في كنف الدفء و

الحماية، فأسهبوا في وصف روعة و جمال طبيعتها الجذّابة، و ما نتج عنه من بذخ متمثّل في القصور، فهذا ابن عبد ربه يصف لنا **منيّة كنتش** حيث يقول:

"ألمـــــــّا على قصر الخليفة فانظروا إلى منية زهراء شيّدت لأزهـــــــــــــــــرا

مزوّقة تستودع النجم ســـــــــــــــــرّهـــــــــــــــــا فتحسبه يصغى إليها لتخبـــــــــــــــــــــــــــــــــرا

هي الزهرة البيضاء فـــــــي الأرض لها الزهرة الحمراء في الجوّ مغفرا"[1]

فهنا وجه ابن عبد ربه مشاعر الدفء تجاه ذلك المكان فهو يخاطب صاحبه أن يعرجا إلى القصر، ليريا هذه المنيّة التي زيّنت للأمير فكأنها كوكب الزهرة بين النجوم ترنّو إليها الأنظار، فهذا المكان أثّر في نفسيّة الشاعر ممّا جعله يضفي عليه هذه الصفات الجميلة التي يتشوّق إليها كلّ من حُدّث عنها و لم يزورها من أخبار و أوصاف.

ومن الأماكن التي ألفها الشاعر في الأندلس ووجد فيها متسعا يعبّر فيها عن أحاسيس الأماكن الطبيعيّة، فهذا أبو الأجرب الكلابي يقول:

"و لقد أراني من هوى بمنـــــــــزل عال و رأسي ذو غدائر أفرع

و الجيش أغيد ساقط أفنانه و الماء أطيّبه لنا و المرتـــع."[2]

فهذه الأبيات قالها عند نزوله أكناف قرطبة بين جمال الطبيعة و الهواء النقيّ و الماء العذب، و كلّ مقوّمات المكان المحبب و هي متأتيّة من الأثر الّذي تركه في نفس الشاعر فحاول أن

[1]- محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي، مرجع سابق، ص108.

[2]- المرجع نفسه، ص113.

يعطيه أجمل الصّفات و التشبيهات، و خلاصة القول أنّ الشاعر الأندلسي قد ألّف تلك الربوع و القصور و الرّياض و الأندلس بصورة عامّة، و أصبحت المكان المحبّب لهم و استطاعوا أن يستلهموا كل عناصر المكان و توظيفهم في شعرهم.

كما صوّر الشاعر الأندلسي محنة مدنه التي تساقطت الواحدة تلو الآخرى بدءا بطليطلة كانت آولى المدن الأنداسيّة و واحدة من أكبر القواعد الإسلاميّة في الأندلس، فنجد الشاعر الأندلسي ترتسم في ملامحه الحزن و الأسى على سقوطها بعدما كانت معقل للدين تحوّلت إلى دار للكفر، فكان من أسباب سقوطها غرق المجتمع في الإنحلال الأخلاقي، و الإقبال على الشهوات و الدخول في كنف المعاصي و الفجور، فتعالت هتفات الشعراء في الحضارة الأندلسيّة راثيّة لما آلت إليه هذه المدينة من خراب و دمار بعدما كانت جنّة تبهج الأرض، لتأتي بعدها مدينة قرطبة التي رثاها ابن جزم الأندلسي، مرتاعا لما حلّ آسفا على ما آل إليه حالها:

سلام على دار رحلنا و غودرت خلاء من الأهلين موحشة قفرا

و لا عمرت من أهلها قبلنا دهرا تراها كأن لم تغَن بالأمس بلقعا

و لو أنّنا نستطيع كنت لنا قبـــــــــــــــرا فيا دار لم يقفرك منّا اختيارنـــــــــــــــا."[2]

حيث نجده في هذه المقطوعة يصف لنا محنة هذه المدينة بعبارات مثقّلة بالأشواق و الحنين الجنّة التي كانت عليها قرطبة من جمال و حسن، و لكن كما يقال دوام الحال من المحال فكلّ شيء يتغيّر و لا أحد يبقى على حاله.

[1]- قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في اشكالية التلقي الجمالي للمكان، مرجع سابق، ص62.

و لم تكن قرطبة و طليطلة المدن الوحيدة التي عمد إلى رثائها الشعراء، بل كان شأن كلّ مدينة أندلسيّة، تتعرّض لمحنة و اغتصاب كبلنسيّة مثلا، عاصمة الشرق الكبرى، التي سقطت في أيدي نصارى الأندلس، فرثاها ابن خفاجة بأبيات مفعمة بالرقّة بقوله:

"عاثت بساحتها العدا يـــــــــــــــــــــا دار و محا محاسنك البلى و النّار

فإذا تردّد في حنابـــك ناظـــــــــــــر طال اعتبار فيك و استعبار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها و تمخّضت بخرابها الأقـــــــــــــــــــــــــــدار"[1]

يتغنّى ابن خفاجة بوصف محاسنها و حسنها و يرى فيها أنّها الحياة الثانيّة التي نحياها بعدما نموت، هكذا دارت عجلة الزمن و صار حسن حال الأندلس العربيّة المسلمة إلى أسوء حال، لكون الزّمان دوار لا يقرّ له قرار.

ي/ المدينة في الشعر العربي المعاصر:

حضيّت المدينة باهتمام كبير من طرف الشعراء المعاصرين أمثال عزّ الدين ميهوبي عبد الله حمادي السياب، البياتي و غيرهم كثر فتبرز المدينة في عين شعارئها تاريخا و حضارة و ثقافة و علما، حيث تجلّت بشكل رمزي لإحتراقات الشاعر و عذاباته النفسيّة و الإجتماعيّة و السياسيّة، خاصة ممّا شكّل هاجسا فاصل كبير، للشعراء فتميّزت المدينة في الشعر الجزائري المعاصر بجملة من الخصائص منها: ارتباط المدينة بحالات كثير نذكر منها: الحنين و القلق، و الغربة، الانهيار.

[1]- المرجع السابق، ص 64.

كما ارتبطت المدينة بالهروب من الواقع، و سعي الشعراء لتحقيق أو إيجاد المدينة التي يحملون بها، أي المدينة المتخيّلة في ذهن كلّ شاعر:" باعتبار المكان الشعري لا يعتمد على اللّغة وحدها إنّما يحكمه الخيال الّذي يشكّل المكان بواسطة اللّغة، إذ أنّ جزئياته تكون حقيقية لكنّها تدخل في سياق حلمي يتخذ أشكالا حصر لها"[2] حيث يحلم كلّ شاعر أن تتجسّد فوق الواقع، و ربّما يكون وراء ذلك عجزه عن تغيير واقعه، و خوفه من السلطة الجائرة فهذه المدينة نجدها متجسّدة في المدوّنة الشعريّة الجزائريّة المعاصرة، حيث حلم محمّد الفضيل جقاوة بالمدينةالتي يسودها العدل و الحريّة و الديمقراطيّة حيث يقول:

"مدينة أحلامي الرقصات الحميلة

أراها مباني تسمو أثيلـــــة

لقد أصبح السور منّي قريبـــا

وولي الظلام

و أورقدني ساحها الحب نورا كليلا

و أحلم بالحب يزهر فيها سلامها

و عبق العدالة يغرس فوق الشفاه ابتساما."[1]

فالشاعر هنا من خلال أبياته يحاول أن يجسّد لنا مدينة يسودها المساواة بعيدا عن كنف اللأمن.

[2]- اعتدال عثمان، إضاءة النص، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1988، ص7.

[1]- أحمد قيطون و عمار حلاسة، تيمة المدينة في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع6، جوان 2014، ص72.

فالشاعر العربي المعاصر، تناول المدينة على أنّها نقطة ارتكاز هامّة لتفجير هموم أبعد من كيانها المادّي.

نموذج عن المدن المعاصرة:

ممّا لاشك فيه أنّ القدس قيمتها متجذّرة في قلوب المسلمين نظرا لقدسيتها ، فهيّ موطن الأنبياء و الرسول، و مهد المسيح عليه السّلام، و أولى القبلتين و ثالث الحرمين لتسقط على أيدي الصهايّنة الغاشمين، و كان ذلك صدمة قاسيّة على العرب و المسلمين خاصة منهم الشعراء الّذين يمثّلون لسان حال الأمّة العربية.

و من بين الشعراء الجزائريين الّذين بكوا القدس الشّاعر محفوظ بوشناق محفوظ في قصيدته " القدس و الدّموع"[2] حيث يبكي الشاعر المدينة و يلوم صمت الأمّة الإسلامية، و يتألّم لهذا الصمت أشدّ الألم، و يصوّر الشاعر القدس و هم يأخذونها بها و يجوبون عبر أنحاء العالم ليدرجوها أخيرا في قائمة الينا صيب، ليؤكّد في الأخير إنّها لن تكون أوفى ملك لليهود.

نجد كذلك الشاعر الجزائري بوخرزة بوعلام في قصيدة بعنوان" هائية الجرح (جرحى عميق) حيث يصوّر لنا نكبة فلسطين و يتّهم العرب بعدم التضامن و مدّ يدّ العون لاخوانهم الفلسطينيين، حيث أدى إلى جرح عميق أدماه نكوس العرب.

نجد أيضا مصطفى الغماري في قصيدته"ضاعت القدس"، يبكي فلسطين الطاهرة و القدس الشريف و يلقي اللّوم على العرب لأنهم السبب في ضياعها الّذي ليس له نيّة صافيّة اتجاه أرض فلسطين بل غرضه القضاء على العرب فيها و إقامة دولة يهوديّة في أرض فلسطين و من ثمّ لا جرم أنّ القضيّة الفلسطينيّة قد ملأت الدنيا و شغلت عقول الشعراء حديثا و معاصر، حيث أثارت القضيّة انفعال الشعراء بكل مضامينها الدينيّة و التاريخيّة و الأدبيّة في تاريخها المرير

[2]– الربعي بن سلامة، محمد العيد تاوته، عمار ويس،عزيز العكاشي، موسوعة الشعر الجزائري، مج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط،2009 ص219.

لمواجهة الطغيان و الكيان الصهيوني الغاشم و قوافل شهدائها الّذين يتساقطون يوميّا على مسمع و مرئ هذه الأمّة الخاسرة غير أنّ ذلك لم يوقف الشاعر العربي و الجزائري على وجه الخصوص في ظلّ غرض الالتزام و الاندراج في قافلة شاغرة.

و من هنا أضحى المكان مفردا بصيغة الجمع، و أصبح هو الّذي يهيّج الأشواق، لما فيه من ذكريات فكثر عند الشعراء ذكر الأوطان، لأنّ الوطن هو الهواية و الانتماء و القضيّة،"فالمكان الأول الّذي يتجذّر من الذات الانسانية، هو البؤرة المركزيّة التي تستقطب تفاصيل الحياة الشاملة و النواة الخفيّة التي تتمحور حولها التجربة الشعريّة"[1] .

نخلص أنّ شعر المدينة عند الشعراء المعاصرين عموما، أصبح يعبّر عن الواقع السياسي و الثقافي ، و يرسم صورتها الحقيقية الغنيّة بالجزئيات و الدلالات منجهة، و صورتها المتخيّلة و الحالمة من جهة أخرى و إذا اتبعنا المتن الشعري المعاصر رأينا كيف تعدّدت و تنوعت أشكال و صوّر المدينة في النّص.

3/ أبعاد المدينة:

المدينة هي الإطار المكاني الذي يجيش به المجتمع من الحركة و التمظهر الدائم للقيم و المبادئ و أنماط الحياة المختلفة، بل هي أكثر من ذلك فهي باعث لهذه الحركة و محطة لها في نفس الوقت، و الشّاعر لم يكن بمنأى عن هذا الجوّ حيث راح يتفاعل معه يصوّره بأدق تفاصيله ساعيّا لايجاد الحلول الجذريّة التي تمركز فيه، والمدينة لها أبعاد على المستوى الاجتماعي و السياسي، أما فيما يخص البعد الاجتماعي

[1]- ابراهيم روماني، المدينة في الشعر العربي" الجزائر نموذجا 1925- 1962، مرجع سابق، ص205.

أ/**البعد الاجتماعي**: فإنّ الشعراء على اختلاف انتماءهم الثقافي و الحضاري، إلاّ أنهم اتفقوا على كون المدينة هي سبب الفساد الاجتماعي و الأخلاقي على وجه الخصوص، كانشار ظاهرة البغي، و أول من تطرّق لهذا الموضوع نزار قباني الّذي كان له الفضل السّبق في طرق هذه المواضع في شعره، في قصيدة عنوانها" البغي"ثمّ بدر شاكر السياب في قصيدته " المومس العمياء"ثم رأيانها عند صلاح عبد الصّبور و حجازي و أمل و نقل بطرق مختلفة.

فقصيدة **نزار قبانّي** مثلا نجدها قد تطرّقت للصّورة المأساويّة للحيّ و انتشار بيوت البغيّاء حيث قال:

"علقت في بابها قنديلهـــــــــــــــــــــــــــــــا نازف الشريان محفّز الفتيلـــ

ــــــة

في زقاق صنوات أوكـــــــــــــــــــــــــــــــاره كلّ بيت فيه مأساة طويلـــ

ــــــــــــــــة

غرف ضيّقة

مبـــوءة

و عناوين (لماري) و (جميلـــــــــــــــــــــــــــــــــة)

و بمقهى الحيّ حافي هرم راح يجبّر أغانيه الذليلـــ

ــة

و عجوز خلف نجيلتها عمرها أقدم من عمر الرذيلة

إنّها آمرة البيت هنا تشتمّ الكسلى و تسترضي العجولة"[1]

و مدخل يعني أنّنا لسنا أمام بغيّ واحدة، إنّما أمام مبغى ديني يمتهن كرامة الانسان ممّا جعل الشاعر يثور ضدّ المدينة متداخلا في سير القصيدة.

ب/ البعد السياسي:

لايعزل البعد السياسي عن البعد الاجتماعي كونه تطرّق لأهم قضايا المجتمع كقضايا (السّلم و التحرر و الحرب)، شامل بذلك جميع شرائح المجتمع، الّذين يتأثرون بالسياسة زعما عنهم، فقد كان العامل السّياسي عامل فاعل دفع بالرومنسيين بالفرار من المدينة و ذلك لما يعيشونه من فراغ سياسي، لكنّ المدينة العربية المعاصرة طرأت عليها تغيرات سياسيّة مهمّة، جعلت الرّوح القوميّة تستقيض من سباتها، و كان في مقدّمتها الشعراء، فصارت المدينة مربض لحوار الشعر السيّاسي فتحوّل بذلك الوجه الاجتماعي للمدينة إلى وجه سياسي ذلك الوجه الاجتماعي كان سبب في ظهور الوجه السياسي.

فالجوع مثلا كوجه اجتماعي أدى إلى ظهور محرّض داخلي للضمير الانساني، سببه الفقر و الجوع الّذي يعاني منه الكثير من النّاس وهذا ما عبّر عنه **بدر شاكر السياب** في قوله:

"حتى تدور في الحقول حولها بشر

و في قوله " في العراق ألف أفعى تشرب الرحيق

ما مر عام و العراق ليس فيه جوع."[2]

[1]- مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، سلسلة الكتب الثقافية الثقافية الشهرية، ع196، أفريل 1995، ص102.

فهنا يكتفي بالاشارة إلى ما يعانيه العراق من جوع و الّذي يرتبط بشكل مباشر بالرمز الأسطوري في القصيدة في حين تبقى الاشارة إلى البعد السّياسي مجرّد تلميحات غير صريحة و يبرز تحول الوجه الاجتماعي إلى سياسي بروزا واضحا عند **نزار قبانّي** في قوله:

"أنت لوحات أن تقرأ يوما

نشرة الطقس...و أسماء الوفيات و أخبار الجرائم...

لوجدت الضّوء الأحمر

أنت لو حاولت أن تسأل عن سعر دواء الرّبو

أو أحذيّة الأطفال... أو سعر الطماطم

لوجدت الضوء أحمر

أنت لو حاولت أن تقرأ يوما صفحة الأبراج كي تعرف

ما حظك بعد النفط"[1]

صوّر في هذه القصيدة روح الشعب عن طريق الكلمة و التعبير و الخيال، حيث نزع عن الحديث من الوضع الاجتماعي إلى الوضع السيّاسي، و حديثه عن الضوء الأحمر إنّما هو علامة من علامات المرور جعل منها رمز لقتل الحريّة الإنسانيّة للإنسان العربي، و كل ذلك مؤداه الوضع السياسي.

و من هنا يتبيّن البعد الاجتماعي و البعد السياسي وجهان لعملة واحدة، فالبعد الاجتماعي بطبيعة الحال يؤدّي إلى البعد السياسي و هذا ما لحظه فيما سبق ذكره.

---

[2]- المرجع السابق، ص151.

[1]-مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص152.

4- كيفيّة تصوير شعراء الجزائر لوطنهم:

أ/ **صورة المدينة**:هناك مدن سيطرت في الدواوين الشعريّة فصوّرها الشاعر تصويرا معنويّا يوحي بالعديد من الدلالات، كون المدينة مركبة من العديد من الأمكنة، و قد تعدّدت صوّرها و أشكالها لا حصر لها فالمدينة تعني التاريخ، الأصالة، المقاومة عند بعض الشعراء، فكانت عند بعضهم رمز لصورة الأنثى فمزجوا صورتها بصورة المرأة الأنثى في المدوّنة الشعريّة فيقف الشاعر أمام معناها وقفة العاشق الولهان، كما هو معروف عند **عاشور بوكلوة** في ديوانه جزيرة "سم"، كما نجدها صورة أخرى للمدينة و هي صورة الاغتراب حيث يصوّر فيها الشّاعر حالة الاغتراب التي يعيشها و هو في مدينة فترتبط المدينة عنده بالذكريات و الحنين، و نحن هنا نتطرّق إلى مدينة من المدن الجزائرية التي وقف عندها **عبد الله حمادي** مخاطبا لها متأسّفا على الصّورة التي آلت إليها في الوقت الحاضر يقول:

قسنطينة اهتزت فجمعك حافل و مجدك مأثور و شعبك باسل

فما لي أرى طيف السكون مخيما و ليلك مكحول و نجمك آفل

بمن يهتدي ركب الأحبة في السُرى و بدرك منهوك العزائم هازل"[1]

الشاعر هنا يقارن بين حالة المدينة في الماضي و الحالة التي آلت إليها في العصر الحاضر من ضياع أهل العلم الّذين نقتدي بعلمهم، الّذي يعتبرهم بمثابة المنارةقصد أخذ الفتوى الصحيحة، هنا نجده يتأسّف في نبرة خطابيّة علّه يوقض عصرنا الحاضر حيث كثرت التناقضات و الاختلافات و الأكثر من هذا أنّه لا يوجد من يحسم الأمور في هذا الواقع.

وقد تكون المدينة التي تسكن الشّاعر هي الملجأ الّذي يلجأ إليه عندما يحسّ بالوحدة التي يعيشها و هو في مدينته فتكون المدينة بذلك صورة الغريب مثلما فعل يوسف وغليسي القاطن

[1]- محمد صالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتورا، العلوم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006،ص200.

بين مدينة سكيكدة و قسنطينة،و لكنّ نفسه تطوق إلى مدينة بسكرة القريبة، حيث قام الشاعر بالهجرة إلى الجنوب في نصّه، " أنا و زليخة وموسم الهجرة إلى بسكرة:

"انّني طائر مستقلّ بالنوق

طائر بالهجير اكتوى

راحل مع طيور المنى

لأهرب حتّى إلى مدن لا تبيح دم العاشقين

إنّني يوسف قادم أتأبط عار " العزيز" و ذكر أبي...

قادم و الخطيئة تمهل في الروح...تغتالني...

قادم من سعير الحزوب إلى زمزم الصالحين."[1]

فهجرة الشاعر هنا كانت بغرض الحفاظ على حبّه، ففضّل الهجرة إلى مدينة صحراوية متناص مع القرآن الكريم في قصّة سيّدنا يوسف عليه السّلام و زوجة العزيز، فهو يرى في بسكرة المدينة الفاضلة التي لم يجدها في قسنطينة و لا في سكيكدة.

صورة أخرى للمدينة تظهر عند **أحمد عاشور** في دوانه الطريق إلى زبامة منصوريّة، و هي تزيّن النّص الشعري فقط دون التفاعل معه أو جعلها حاملة لرسالة شعريّة حيث يقول:

"ينتصب الكاليتوس على منحدرات

"عوانة"

في عوانة ينتصب الكاليتوس على منحدرات

[1]- يوسف اوغليسي، أوجاع صفصافة في موسم الاعصار، منشورات ابداع الجزائر، ط1، 1995، ص92.

عوانة في الكاليتوس

و هناء يغمر هذا البحر"[1]

هنا يصوّر المدينة بذكرياتها و حنينها و تاريخها، و يصوّر الشّاعر شوقها لغدّ أفضل، فهي ليست صورة جامدة و هو ما نلحظه مع الشاعر **حسين زيدان** في ديوانه "**اعتصام**" حيث يطرح المدينة راجيّة قدوم مهديّها المنتظر ليّخلصها من حروبها و دمارها و إن كانت القدس من آفاتها الاجتماعيّة و هذه السّمة تميّز بها الشعراء الاسلاميّون الّذين حاولوا صناعة البديل.

نستنتج من خلال النماذج السّابقة أنّ الشاعر في رجوعه إلى المدينة هو رجوع إلى مكان الذاكرة و الحنين و هذا دليل على ارتباطه بالمكان.

لذلك تعدّدت مشاعر الشاعر بين القبول و الرفض و بين الهروب و اللجوء و غالبا ما تكون مشاعر الضّياع و الاحباط، لذا نجد صوّرها و أشكالها متباينة كما هو في النماذج التي تطرّقنا إليها و ينبغي أن نشير أنّ هذا جزء يسير عن كيفية تصير شعراء الجزائر لوطنهم و قد أخذت صورتها الشعريّة من واقعها الاجتماعي.

5- الموقف من المدينة:

إنّ كثيرا من الباحثين يميلون إلى الاعتقاد بأنّ المدينة في العالم العربي ليست سوى قرية كبيرة، و أنّ الشاعر حين يحسّ بتضايقه من المدينة يتحدّث عن الغربة و القلق و الضّياع، و قد كان من المصادفة المحض أن يكون عدد من الشعراء ريفيي النشأة ثمّ هاجروا المدن.

فالصدام بينهم و بين المدينة لا يعني مقتا للحضارة، إنّما تعبير عن عدم الألفة لأنّها تفتقد إلى فضائل الرّيف و أخلاقيّاته و عاداته، و لكن بالمقابل المدينة مانحة للحريّة و تخلّص من قبضة الأسرار و العادات الرتيبة.

[1]- أحمد عاشور، الطريق إلى زبامة منصورية، مطبعة و لاية قالمة، الجزائر، ط1، 2001، ص3.

فتصوّر الشاعر الحديث للمدينة في صورة امرأة ثمّ في صورة امرأة متعهّرة يكاد يكون قسطا مشتركا بين عدد كبير من الشعراء، و هي صورة ليست جديدة بل نظر إليها الأدب القديم و الوسيط، و الشّاعر الحديث يحدّد المدينة التي يتحدّث عنها باسمها- غالبا- فهي بغداد أو دمشق أو القاهرة، و لا يتحدّث عن المدينة باطلاق إلاّ نادرا.

فصوّر **أودونيس** دمشق في هيئة امرأة، إلاّ أنّها تحمل كثيرا من صفات المجتمع العربي، و بذلك تختلف غايته في الحديث عن المدينة عن بقيّة الشعراء حيث يقول:

"يا امرأة الرفض بلا يقين

يا امرأة القبول

يا امرأة الضوضاء و الذهول

يا امرأة مليئة العروق بالغابات و الوحول

أيّتها العاريّة الضائعة الفخذين يا دمشق"[1]

فالشاعر يحاول اسقاط صفات المرأة على هذه المدينة الضائعة فتغنّى بها كتغنيه بالمرأة، أمّا البياتي فيمعن في ايراد الصوّر الجنسيّة كلّما تحدّث عن المدينة حيث يقول:

"العاقر الهلوك

من ألف ألف وهي اسما لها تضاجع الملوك

تحمل حملا كاذبا في كلّ فجر، و تموت كلّما القمر

[1]- احسان عبّاس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية و شهريّة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الآداب، الكويت، دط، فبراير 1978، ص92.

غاب وراء غابة النخيل في السّحر"[1]

حيث يمثّل بلده قمّة النفور من كلّ ما يسمّى مدينة، حتّى ينفر من قريته نفسها ويرفض العودة إليها، حين تحوّلت إلى مدينة: "لا لن أعود

لمن أعود وقريتي أمست مدينة"[2]

يرجع سبب نفوره إلى غربته حيث كان يعيش خارج بلده منعزلا و خائفا من الاستسلام للوحدة و يتجلّى لنا أنّ المدينة في الشعر كيانا يقف في تجربة الشاعر المهاجر.

في حين ذهب **أمل دنقل** إلى ابراز موقفه من المدينة على أنّها"مظهر للمفارقة الصّارخة حين يتحدّث عن السويس التي كانت تعاني الغارات و التعتيم و الحرائق و الموت و يقارن بين السويس التي تعمّ بحياة السلم فيها، وراء أوكار البغاء و اللّصوصيّة."[3]

نفهم من هذا أنّها قد صوّرت بصوّر عديدة فكلّ شاعر صوّرها وفق ما رآه و قد أطلق على كلّ مدينة اسم جديد غير اسمها المعروف و أسقط عليها صفات معيّنة و هذا نظرا لظروف قد عاشها في مدينه أو لبعده عنها وفق ما يتمنّاه أن تكون.

نضيف إلى هذا أنّ صورة المدينة قد اختلفت عند كلّ شاعر منهم من يقرن صورتها بصورة الحبيبة في ذكر محاسنها و مفاتنها، و منهم من نظر إليها نظرة البغيّ أو العميلة و منهم من وجد فيها الأمل في الحياة و البعض الآخر صوّرها بصورة المقبرة.

فالسيّاب هنا نقل لنا صورة المدينة كصورة الغريب في عالم الجحيم، حيث تصبح المدينة و حبل المشنقة، و نارا و عذاب حيث يقول:

[1]- المرجع السابق، ص92.
[2]- المرجع نفسه، ص109.
[3]- المرجع نفسه، ص106.

"يا صمت، يا صمت المقابر في شوارعنا الحزينة

اعوي أصيح، أصيح، في لهف فاسمع في السكينة

ما تنثر الظلماء في ثلج وقار

تصدّى عليه خطى وحيدات و تبتلع المدينة

أصداءهنّ كأنّ وحشا من حديد، من حجار"[1]

صورة المدينة لدى **السيّاب**هي مشهد بكائي لتاريخ و الضّياع و الاغتراب و الانكسار و حلم الخلاص المنشود، عبر ثورة المدينة بمعنى الواقع و استرجاع القرية المثال أي دعوة لتأصيل الحداثة العربية، ضمن سياقها الخاص،لأنّ **السيّاب** من الشعراء المؤيّدين للرّيف فهو يعتبره دنيا النعيم و السّحر و الصفاء و السّعادة، في مقابل المدينة التي تمثّل بالنسبة إليه عكس ذلك، فهيّ الجحيم حيث يسود القهر الاجتماعي و الضّياع النفسي، و البؤس...

في حين نجد **صلاح عبد الصّبور** متألم من المدينة و من أجلها و هذا لم يتنكّر لها عمّا يخبّئه لها من كراهيّة و سخط بل تعاطف معها، لاسيّما إذا كان بلده مصدر الهامه نجده أحبّها إلى درجة الجنون حيث يقول:

"أهواك مدينتي- المهوى – الّذي يشرق بالبكاء

أهواك يا مدينتي."[2]

فصلاح عبد الصّبور كان مخلصا لمدينة مهما أحدثت فيه من عذاب و حزن و التيه، بل عشقها و كان دائم الاحساس بأوجاعها معبّرا عنها في نزعة صوفيّة و كان فاتح ذراعيه لها لاحتضانها، " فجعلها امتداد لكيانه العضوي و صورة لأعماقه الحميمة"، حيث كان يؤمن أنّ النفاذ ليس

[1]- ابراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائري نموذجا (من 1925- 1962)، مرجع سابق، ص47.

[2]- المرجع السابق، ص60.

بالعودة إلى الماضي أو القرية إنّما في المعاناة داخل المدينة ذاتها، و كذلك بالتأمل و الانتظار للخروج من المدينة الواقعيّة إلى المدينة الحلميّة (الحضاريّة).

ثانيّا:تلمسان:

تعدّدت المدن و اختلفت ميزاتها و مآثرها عن غيرها، فكلّ مدينة لها طابعها الخاص و عناصرها التي تختلف و تنفرد بها عن غيرها، و قد أثرنا اختيارنا لمدينة تلمسان لكشف جمالها و ثرواتها التي تزخر بها معرّجة إلى تفسير أصل الكلمة، و ارتباطها بالموقع الجغرافي تاريخيا و عمرانيّا و هذا في ضوء الرّحالة مختتمين بتلمسان على لسان الشعراء العرب.

1/ معنى كلمة تلمسان:

تِلِمسان أو تْلمْسن، فسّرها بعضهم بمعنى أنّها "مركّبة من كلمتين أمازيغيّة تلم- سن-الأولى تعني تجمّع و الثانيّة معناها اثنانو المقصود في بعض التفسيرات أنّها تجمع بين التّل و الصحراء،نقل هذا

القول عن **يحي ابن خلدون** عن **أبي عبد الله محمّد الآبلي** الّذي كما قال- يعرّف اللّسان الأمازيغي-"[1] وذكر أيضا أنّ بعضهم يسميها تلشان كلمة مركّبة كذلك من كلمتين هما تل بمعنى لها، ثمّ شان بمعنى شأن.

فابن حوقل سمّاها تنمسان (بالنون) و أشار إليه أيضا – فيما بعد –**ياقوت الرّومي البغدادي** في معجمه حيث كتب قول و "بعضهم يقول تنمسان، بالنون عوض اللاّم"[2] ، فكلّ ما ورد عبارة عن تعاريف عديدة لمعنى تلمسان و مهما اختلفت إلاّ أنّها تقرّ بأنّ الاسم مركّب من لفظتين اختلف النّاس في معناها، فوصفت هذه المدينة بأسماء عديدة و أطلقوا عليها عدّة تسميّات منها عروس المغرب الأوسط مدينة الفنّ و التاريخ، لؤلؤة المغرب.

[1]- بوزيّاني الدراجي، أدباء و شعراء من تلمسان، ج1، نسخة منقحة، دار الأمل، الجزائر،دط، دت، ص59

[2]- المرجع نفسه، ص50.

2/ تلمسان و ارتباطها بالموقع الجغرافي:

إنّ الموقع الجغرافي الّذي تتميّز به تلمسان بين السهول و البحر في الشمال و الصحراء، و في الجنوب، و الهضاب و الجبال في الشرق و الغرب، و توفّرها على الأنهار و العيون كلّ هذا جعل من مدينة تلمسان تتخذ أسماء متعدّدة عبر تاريخها القديم و الوسيط و من بين هذه الأسماء:

أ/ أجادير:

"و هذا ينطبق على موقع المدينة الجغرافي الّذي جاء على هضبة قليلة الانحدار، تشرف على سهل من الشرق و الشّمال"[1] ، و من جهة أخرى تشير بعض النصوص إلى تقدّم نشأتها و أزليّتها بحيث يظهر أنّ النّاس عمّروا تلمسان منذ فجر الحضارة الآولى للانسان و قد عثر في هذا المكان على آثار انسان ما قبل التاريخ، تعود إلى عهد النبيّ موسى عليه السّلام، في حين نجد عبد الرحمن بن خلدون رفض في **العبر** هذه الفكرة.

" و أكّد أنّ المدينة هي من انشاء بني يفرن و غيرهم من سكّان المنطقة، و اعتبرأنّ فرعون نادى السّحرة من المدينة، و أنّ النبيّ موسى عليه السّلام نزل المدينة، أمّا المقري فقد ذكر بأنّها وضعت في موضع شريف."[2]

ب/ بوماريا:

و معروف أنّ الرومان استعمروا الشمال الافريقي و اختطّوا قبل أجادير في موضع تلمسان القديمة و دعوها بوماريا أطلق" الرومان هذا الاسم على موقع تلمسان و معناها مدينة البساتين و الحدائق، و ازدهرت أهميّة بوماريا لدى الرّومان لعدّة عوامل: الموقع الجغرافي المميّز الّذي كانت تتمتّع به من سهول في الشّمال و جبال تقي المدينة في الجنوب

[1]-ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمسان، البستان في ذكر الأولياء، و العلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دط، دت، ص9.

[2]- خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة الزيانيّة، دار الألمعيّة، ط1، 2011، ص36.

الشرقي"[3] ، إنّ أسماء تلمسان التي ارتبطت بموقعها الجغرافي الّذي حدّده المؤرّخين و الجغرافيين جعلها تتوفّر على جملة من الخصائص و ذلك لوقوعها بين السّهول و البحر و الهضاب و الجبال، وهذه الاسماء تتفق مع موقع المدينة الّذي يجمع بين التّل و البحر.

3/ موقع تلمسان تاريخيا و عمرانيا:

تحتلّ تلمسان موقع تاريخي عمراني ذو أهميّة كبيرة جعلها تتميّز عن باقي المدن الأخرى و هذا يتجلّى في أنها:" تقع على ارتفاع 830 متر من سطح البحر و هي واقعة في سفح مرتفعات جبليّة، و في جنوبها تكسوها غابة كثيفة من شجر الصنوبر الأخضر العطر الجميل، و في شمال المدينة يمتدّ سهل الحنايّة، الشّاسة المتصل من ناحيّة الغرب بسهل مغنيّة، و يحتجب الأفق وراء مرتفع تراهو حيث يلاحظ الرائي، جبال فلاوسن، و في الشمال الشرقي مرتفعات."[1] هذا بالنسبة لموقع تلمسان و تحديد ما تشتمل عليه في كلّ جهة مع ذكر الجهات المحيطة بها، أمّا فيما يخص المؤرّخون المسلمون فقاموا بتحديد موقع تلمسان:

"في الاقليم الرّابع من الأقاليم الفلكيّة السبع عند درجة طول أربع عشرة درجة و أربعين دقيقة، أمّا الجغرافيّون المحدثون فقد حدّدوا موقعا لها عند خط طول درجة واحدة و ثلاثين دقيقة غرب غرينتش، و خط عرض أربع و ثلاثين درجة و خمسين دقيقة شمال خط الاستواء." [2]

هذا فيما يخصّ تحديد موقع تلمسان عند الجغرافيون المؤرّخون المسلمون.

يظهر أن النّاس عمّروا تلمسان منذ فجر الحضارة الأولى للانسان و من الآثار العمرانيّة القديمة تاقرارت و هي تلمسان الحاليّة بناها يوسف ابن تاشفين الذي شرع في بناء الجامع الأعظم القائم في وسط المدينة الّذي كان من القيّم الفنيّة التي احتفظت بها تلمسان إلى الآن، و

[3]- المرجع نفسه، ص37.

[1]- ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان، الأولياء و العلماء، بتلمسان،مرجع سابق، ص8.

[2]- خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة الزيانيّة، ص24.

كان من المناظر الخلاّبة و المشاهد الآخذة جبل لبعل المطلّ على كلّ أحياء تلمسان و فيه قبّة للولي الصالح العارف بسيدي الطاهر بوطيبة، التلمساني، فكلّ هذا جعل من تلمسان عظمة تشهدها هذه التحف المعماريّة الرائعة الجمال التي تتوسط المدينة،" حيث كان سببا في عظمتها، و خلق القيّم الفنيّة التي احتفظت بها إلى الآن، وهي المباني العتيقة الخالدة التي أضفى عليها القدم و تعاقب الأحقاب و الدهور سربا من الجمال و الجلال تتباهى بها عوصم الدنيا فأغلب هذه المباني مساجد و مشاهد و هي تحف في منتهى الحسن و الروعة." [1]

نفهم من هذا أنّ البحث في تاريخ تلمسان يعتبر موضوعا هامّا في حقل الدراسات التاريخيّة، وذلك راجع إلى موقعها الجغرافي جعل منها آية من آيات الجمال الفنّي و المشاهد الآخاذة التي تسلب العقل.

4/ تلمسان عند الرّحالة:

حظيّت مدينة تلمسان بمجموعة من الأوصاف من قبل الرحالة فابدعوا في ذكر ما تتربّع عليه من أوصاف أيّما ابداع، و ارتكزت لديهم خاصيّة السرد و الوصف فكان من الّذين أولوا اهتمامهم بوصف تلمسان **البكري** في القرن الخامس فقد وصفها"بقاعدة المغرب الأوسط، و قال أنّها لديها أسواق و مساجد، كما لها أشجار، و طواحين، و ذكر نزلائها، وهو محمّد بن سليمان من آل عليّ ابن أبي طالب الّذي بنى جراوة و كان أميرها، و لم تزل تلمسان دار للعلماء و المحدثين و حملت الرأي على مذهب مالك" [2] ، حاول البكري من خلال هذا القول نقل و رصد ما شاهده من مشاهد نذكر من بينها الأسواق و المساجد و ذكر أيض نزلاء مدينة تلمسان...

[1]- ابن مريم الشريف، المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكلر الأولياء و العلماء بتلمسان، ص12.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، السلسلة الأولى من الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن التاسع هجري، ج1، عالم المعرفة، ط1، 2015، ص230.

أمّا القرن السادس فوصفها **الادريسي**:"الّذي قسّمها إلى جزئين الجزء الأول أطلق عليه المصمودي، التي يعتبرها بوابة المغرب في التبادل التجاري مع الصحراء، و فرّعها إلى طريقين: طريق إلى سجلماسّة عبر فاس و طريق أقل أهميّة لانقطاع المسافات تسلكه قوافل الإبل، في الشّمال من تلمسان مترل يسمّى باب القصر فوقه جبل يسمّى جبل البعلة ينبعث من أسفله نهر سطفيسيف و يصبّ في بركة عظيمة..."[1] و من الّذين اعتنوا أيضا بوصف مدنة تلمسان الرّحالة **خالد البلوي**، زار مرسى هنين و وصفها وصفا سريعا لا يكاد يأتي بالجديد عمّا سبقوه من الرحّالة، و "من هنين توجّه إلى تلمسان التي قال إنّها مدينة قلّ مثيلها، ناس و أرض و نشاط تجاريّ و ميّاه أنّها مدينة جميلة المنظر جيّدة الهواء"[2] و في هذا المقام قال البلوي:

أنشدنا شيخنا **أبوبكر بن الخطّاب** قائلا:

"سرى البدر فارتاع الفؤاد لومضه   فبات و جفني لم يذق طعم غمضه

تبدّى كعرق في الغمامة نابض   يدلّ على سقم تواتر نبضـــه."[3]

أراد البلوي في هذه الأبيات ابراز جمال تلمسان و حنين كلّ من فارقها إليها.

[1]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[2]- المرجع نفسه، ص231.

[3]- المرجع نفسه، ص231.

هكذا اعتنى الرّحالة بوصف تلمسان بأدنى تفاصيل دقيقة للحياة و ذكر ما تتربّع عليه من خيرات، متطرّقين في ذلك إلى جميع النواحي، خاصّة الجغرافيّة المتمثّلة في وصف الأودية و الأنهار...

فلم يتردّد هولاء في وصفها في كتبهم، فاكثروا في مدحها و اطنبوا في اظهار جمال منشآتها العمرانيّة.

و من خلال هذا حاول الرحالة نقل مارصدوه من مشاهدات و ظواهر حول مدينة تلمسان محاولين بلورة الانطباعات الشخصيّة و أحكام تقويميّة لما مرّوا به أو سمعوه.

5/ تجليّات تلمسان في الشعر:

ظهر اهتمام الشعراء العرب بالمدينة قبيل منتصف القرن الماضي، فكانت موضوعا من الموضوعات التي دار عليها شعرهم، فكانت ظاهرة المدينة حاضرة و متواترة في مختلف مراحل الشعريّة، و نحن في وقفتنا هذه سنقف على جانب من جوانب الشّعر، و هو الشعر و المدينة الّذي يعرّف بأنّه "الشعر الّذي يصف المدينة الواقعية وصفا مباشرا، أو يصف البشر الّذين تتأثر حياتهم بتجربتهم في مثل تلك المدنة تأثرا واضحا، و معنى هذا أن اختياري لن يتضمّن الأحلام و الرّؤى و الأوهام و الخيالات التي لها علاقة واعية، أو لا علاقة لها البتّة بالمدينة الواقعية"[1] هذا هو التحديد الّذي جاء به جنسون عن شعر المدينة، و هو بذلك يلغي المدن المتخيّلة اللاّواقعيّة فلكلّ شاعر مدينة يحيا بأعماقها و بالتالي المكان هو الّذي يحسن فيه استحضار الصّورة الشعرية التي نلفي من خلالها مكانيّات المدينة،وسنخصّص حديثنا عن تلمسان، التي كان لها حضور قويّ بالرجوع إلى مصادر الشعر العربي الجزائري، و تغنّى بها كمّ لا يستهان به من الشعراء، فهي حسبهم تحمل دلالات لاحصر لها من العلم و العلماء مدينة العظماء و التاريخ.

[1]- ابراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي، الجزائرمن (1925- 1962)، مرجع سابق، ص5.

وجد الشاعر الجزائري **مفدي زكريا** التجاوب الصّادق و التلاحم العميق، و الحنان و الأمان و ما يخفّف عنه الوحشة و يعزّز في نفسه الشعور بالفخر و الانتماء، الذي يدين له في أعماقه بأسمى آيات الحب فيسترسل في ذكر تلمسان و ابراز مجموعة من الجماليات الممتلئة بحسّ المكان المتعدّد و ايقاع التاريخ المتواصل حيث قال:

"وقف بي على روض الوريط و نبعه و منحدر الشّلال استلهم النّهـــــــــــــــــــر

في قريّة العباد لا تسرع الخطـــى
فتربتها توحي القداسة و الطّهـــــــــــــــــــــــــــرا

بلّغ شعيب بن الحسين تحيّـــتي
تلمسان لا تنسي أماجادك الغرّا."[2]

تغنّى الشاعر هنا بمناظر تلمسان، و قد تغنّى بها أيضا **ابن خميس** و **الشّاب الظّريف** و **أبو حمّو موسى الثاني** و غيرهم من شعراء عهد بنّي زيّان

يقول **ابن خميس:**

"تلمسان جادتك السحاب و الروائح و أرست بواديك الرّياح اللّواقح

و سحّ على ساحات باب جيادها ماء يصافي تربها و يصافـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــح

يطير فؤادي كلّما لاح لامـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــح و
ينهل دمعي كلّما ناح صادح."[1]

[2]- المرجع السابق، ص215- 2016 .

ابن خميس كان كثيرا ما يتشوّق لمشاهدتها و يتأوّه من تذكّره لمعاهدها و ينشر القصائد سالكا من الحنين إليها المسلك.

كما ساهمت المناظر الطبيعيّة التلمسانية و ضواحيها، في شحذ قرائح الشعراء، و قد أدّت إلى ازدهار الشعر عدّة عوامل نذكر من بينها: قرض عدد كبير من ملوك الدولة الزيّانية الشعر و بذلهم الأموال للشّعراء، إضافة إلى اهتمامهم بأهل العلم و الأدب، و كان نتيجة لذلك اهتمام الشعراء بتلمسان و خصّصوا لها قصائد شعريّة للتغنّي بجمالها، و روعة منشآتها، فجاء الشعراء بشعر كثيرا نلمس فب معظمه حبّا للوطن، و افتتان بالطبيعة الساحرة.

من خلال ما تقدّمّ في هذا الفصل نستنج أنّ المدينة تشكّل بكلّ أبعادها بالنسبة للشعراء العرب قديما و حديثا منبعا هامّا يستلهمون منه صور جماليّة تعبّر عن حالتهم النفسيّة المتشابكة، [من شوق، و إعجاب، و تحسّر]، و قد صوّرها كلّ شاعر وفق ما رآه، و أطلقت عليها اسماء جديدة غير معروفة، دون أن ننسى الحاقها بصفات معيّنة، نظرا لظروف قد المـــــــــــُعاشة ، فكانت تلمسان في العهد الزّياني المحطّة اللاّفتة في هذا الموقف أين تنافس الشعراء على اخراجها في أشعارهم كعروس زيّنت بأبهى الحلّل، فشكّلت طبيعتها الساحرة هاجس الكثير من الشعراء، حيث تغنّوا بها و مجّدوها في أشعارهم ممّا يؤكّد على روح الانتماء الوثيقة.

[1]- المقري التلمساني، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطب، تحقيق احسان عباس، مج 7، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص (131- 133).

فصل ثاني

تلمسان في العهد الزيّاني

أولا:تلمسان في العهد الزيّاني

1/- المظاهر الطبيعيّة في تلمسان الزيانيّة

أ/ المياه

ب/ الجبال

ج/ الطقس

2/- المظاهر العمرانيّة

3/- تلمسان الزيّانيّة

ثانيا: أهم شعراء الطبيعة التلمسانيّة في العهد الزيّاني

1- الثغري

2- ابن خميس

3- محمد ابن عبد الله بن الخطيب

4- محمد بن أبي جمعة التلالسي

أولا: تلمسان في العهد الزيّاني:

عرفت تلمسان في العهد الزيّاني مكانة مرموقة، ممّا جعلها تضاهي فيها المدن و العواصم الاسلاميّة الكبرى في المغرب الاسلامي و مشرقه، حيث بقت على مرّ القرون منارة للاشعاع الفكري و الثقافي، غير أنّ الظروف التي مرّت بها الدولة الزيّانيّة مع الدولة الحفصيّة و الدولة المرينيّة، لم يمنعها أن تسجّل نهضة فكرية و علمية و كذلك حركة تنويريّة للعلوم و قد تجلّى ذلك في العديد من العلماء الّذين نهضوا بها في مختلف المجالات، و بما أنّ تلمسان الزيّانيّة لها علاقات مع جيرانها و بهذا يتّضح أنّ الرحلة العلميّة ظهرت بشكل ملحوظ في هذه الحاضرة، كما هو موضّح في الفصل الأول، الّذي تطرقنا فيه إلى تلمسان على لسان الرحالة، دون أن ننسى الشعر الّذي كان له دور كبير و عامل مهمّ في ازدهار الحياة العلميّة و مظاهرها في تلمسان الزيانيّة.

فكان من أهم الشعراء الّذين عرفهم التاريخ الزيّاني و سنسلّط الضوء عليهم و على أعمالهم نذكر، نذكر: ابن خميس التلمساني كان من كبار شعراء تلمسان، حتى لقّبه يحيّ بن خلدون "بشاعر المائة السابعة"[1] و في وصف تلمسان قال شاعرها:

"تلمسان جادتك السحاب الدوالخ و أرست بواديك الرّياح اللّواقح."[2]

و برز كذلك أبو عبد الله محمّد بن يوسف الثغري التلمساني الذّي ولد و نشأ بتلمسان نبغ في فنون الأدب، و نظم قصائد التي كان يلقيها في الاحتفالات الدينيّة التي كان يقيمها أبو حمّو موسى الثاني، فكان الشعراء ينشدون قصائد المدح في النبيّ صلّى الله عليه و سلّم ثمّ يمدحون

[1]- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج1، الجزائر، دط، 1903، ص118.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر، الجزائر،دط، 2007، ص465.

الحكّام الزيانيّين، و من ذلك قول الثغري في مدحه للمولى أبي حمو ولي عهده المولي أبي تاشفين قصيدة مطلعها:

"سرّ المحبّة بالدموع يترجم فالدمع أن تسأل فصيح أعجم."[1]

1/ المظاهر الطبيعيّة في تلمسان الزيّانيّة:

أ/ الميّاه: لأرض تلمسان خاصية ايجابية في تركيب تربتها، أهلتها أن تكون خزانا طبيعيّا، لمياه الأمطار و الثلوج الذائبة، و التي سرعان ما تجري عيونا و تنصب شلاّلات، و تلك الخاصيّة هيّ "أنّ أرضها تتركب من صخور الكلس المشقق، ثمّ طبقات الصلصال ثمّ الطبقة الطينيّةحيث تخزّن الماء فيها بعد مروره على الطبقتين السابقتين"[2] و هذه الخاصيّة قلّما توجد في أرض "فتكوينها الجيولوجي صالح جد الحفظ مياه الأمطار و الثلوج في أحواض شاسعة في باطن الأرض لذلك تعدّ تلمسان بمثابة خزّان طبيعي كبير تتوزّع منه الميّاه بواسطة ينابيع جمّة لا تفيض مياهها الغزيرة، التي تجعل اقليم تلمسان الممتدّ حول المدينة ثريّا بحدائقه الغناءة"[3].

ب/ الجبال:يعيش في غابات تلمسان تلمسان أنواع مختلفة من الحيوانات "كالضّباع و الثعالب و الذئاب و غيرها من صغار السّباع، بها أنواع من الطيور لا تحصى."[4]

ج/ الهواء و الطقس: بعد هذه المظاهر الساحرة لابدّ أن تتمتّع تلمسان بمناخ صحّي منعش معتدل في أغلب فصول السّنة، "و لا عجب أن يكون هواؤها عليلا، و أن يقول عنه الأطباء،

[1]- محمد بن عبد الله التنسي ، تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان، تحقيق و تعليق محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011،ص169.

[2]- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الساحة المركزيّة بن عكنون، الجزائر، دط،دت، ص5.

[3]- ابن مريم الشريف المليتي المديوني، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، مرجع سابق، ص9.

[4]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

إنّه صالح للمصابين بالتعب المفرط الخلقي، و المصابين بفقر الدّم و لكلّ من كان عصبيّ المزاج."[5]

فالماء و الخضرة تذهب الأحزان عن الانسان و على العموم فقد تشتدّ بها وطأة البرد في بعض السنين نظرا لارتفاعها على سطح البحر، وقد تسقط فيها الثّلوج و تتراكم في قمم جبالها.

2/ المظاهر العمرانيّة في العهد الزيّاني:

و حينما آلت تلمسان إلى بني زيّان ما كان لهذا المجتمع الّذي بلغ ما بلغ من الثراء المادّي أن يقنع

بحياة الزاهدين، ففي فن العمارة مثلا المساجد و القصور و الدور و الأسوار، أمّا المساجد فلا نكد نذكر سلطان من آل زيّان لم يلتفت إليها بناءا أو ترميماأو تزيّنا و أما القصور فيذكر لنا الحافظ التنسي ثلاثة قصور أنشأها أبو تاشفين عبد الرحمان و هي "دار الملك، دار السرور أبو فهر."[1] و هكذا فإنّ مجمل العمارة في تلمسان تتجلّى في الدور و القصور، و المساجد و الساقايات، و الأسوار.

3/ تلمسان الزيّانيّة:

يمكن الاشارة إلى أنّ مدينة تلمسان ستعرف تحوّلات جذريّة تصلّ أوجّها الحضاري مع تأسيس ثاني دولة أعلنت عن انفصالها عن الدولة الموحديّة (1236ه-1554م) إنّها ستبقى لمدّة تزيد عن ثلاث قرون العاصمة السياسية و الاقتصاديّة و الثقافية للمغرب الأوسط، نواة الجزائر الحالية.

---

[5]- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، مرجع سابق، ص29.

[1]- محمد بن عبد الله التنسي ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدار و العقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعيّاد ــ المكتبة الوطنيّة، الجزائر، 1985ص 140.

" هذا ومن خصوصيات تلمسان أنّها إلى جانب تفوّقها في المجالات الآنفة الذكر، قد فرضت وجودها في ميدان العمارة إذا تطوّرت نموذجا انفردت بها على مستوى المدن العتيقة المغاربيّة، إنّها وظّفت رمزيّة معيّنة لها دلالة اجتماعية نؤكّد رقي التلمسانيين حضريّا"[2] و سنوضّح الجانب المعماري بمجموعة من الأمثلة الجامع الكبير في تلمسان الّذي يشبه إلى حدّ كبير مئذنة جامع قرطبة، "و قد شيّد على قاعدة مربّعة، حيث انتهت في الأعلى بمربّع أصغر من مربع القاعدة، تحيط به شرفة يستطيع المؤذّن أن يطلّ منها على المدينة بأكملها."[3]

و قصر الحمراء الخاص بالموسيقى الأندلسيّة و مغارات بني عاد التي تروي و تحكي العديد من القصص التي لا يعرف سرّها إلى خالقنا، بالاضافة إلى الجدار الّذي ذكر في القرآن في قصّة الخضرو موسى عليهما السّلام و هو بنا حيّة أغادير من تلمسان، فهذه المعالم جعلت من تلمسان الزيّانيّة جوهرة المغرب العربي في العصر الوسيط لما تزخر به أيضا من ثروة طبيعيّة خلاّبة ساحرة تتجلّى في الغابات التي تكسو تلالها بألوانها الخضراء التي تبعث في النفس الطمأنينة، معالم تاريخيّة تروي تاريخها و تشكّل أيضا تحفة ربّانيّة في تشكيل و تناسق جمال الطبيعة التي تجعل كلّ واحدوينبهر و يتساءل عن سرّ هذا الكون العجيب "هذا ما جعلها بمكانتها و خصوصيّتها مطمعا لأكثر من أمّة و غازيّا"[1]

ثانيّا: أهم شعراء الطبيعة التلمسانيّة في العهد الزيّاني:

ليشمل هذا الفصل التطبيقي على موجز الأدباء و سنركّز بالخصوص على شعراء التلمسانيين في العهد الوسيط أو كما هو معروف العهد الزيّاني مع بيان نتاجهم الأدبي في التغنّي بتلمسان معزّزين ذلك كلّه بنصوص شعرية دّالة على طول باعهم مع جودة أفكارهم و رقّة

[2]- ابراهيم نصر الدين، سيدي محمد النقادي، تلمسان الذاكرة ، منشورات ثالّة، الأبيار، الجزائر، ط2، دت، ص58.

[3]- محمد عثمان، صفحات من تاريخ و معالم تلمسان لؤلؤة المغرب العربي، الدار المصريّة للكتاب، ط1، 2014، ص 43.

[1]- المرجع السابق، ص43.

شعورهم، و تكون المقطوعة التي بعنوان تلمسان لرشاد يوسف أحمد الأستاذ الفلسطيني تمهيد لنعرج إلى فحوى دراستنا:

"تلمسان يا بلد

الأهلّـــة

نشر السلام عليك ظلّه

و جابتك هامات المــــــــــــــــــــــــــــــــــآذن

بالتحيّة و التجلّــــــــــــــــــــــــــــــــــة

يا كعبة المجد

الكبيـــر

و لمحة الأمل

المطلــــــــــــــــــــــــــــــه

لولا كرامة

مكّـــة

لجعلت من

ركنيك قبله

أوعزّ حجّ البيت جئـــــــــــــــــــــــــــــــــت

إلى بهاك أطوف حولـــــــــــــــــــه

دعوت للأرض

اللّتــي

تشفي بماءها أي علّــــــــــــــــــــه

مهد العلوم و مقصد التاريخ عند بداية كلّ
جولـــــــــــــــــــــــــــــــه."[1]

أضفنا هذه القصيدة الصغيرة الحديثة العهد، و جعلناها تمهيد لهذا الفصل ونحن سنتعرّض لأعلام تلمسان، و نركّز على وجه الخصوص على الأعلام الّذين تطرّقوا إليها في نصوصهم الشعريّة للدلالة على مواهبهم الأدبية و براعتهم الفنيّة في هذا الميدان و يكون في الغالب ممّا تألّفوه بتلمسان أو كتبوه عنها ممّا أوحت به إليهم هذه المدينة مدّة اقامتهم بها، أمّا أبناؤها الأصليّون فإنّنا ندعم نصوصهم الشعريّة كيفما كان موضوعها سواء كتبت بتلمسان أو بالبلدان التي انتقلوا إليها، و بطبيعة الحال سنعرج إلى كوكبة من أدباء و من إليهم من مؤرّخين نذكر من بينهم:

1/ محمّد بن يوسف القيسي:و يقال له الثغري و يعتبر من أشهر شعراء تلمسان في العهد الزيّاني دلّت على ذلك قصائده الغرّاء التي اعتنى بجمعها و تدوينها و قد وصفوه بالأديب الأريب و بالناظم الناثر و هذا نموذج من شعره قال يصف ملعب الخيل بتلمسان:

"و إذا العشيّة شمسها مالت فمـــــل نحو المصلّى ميلة المتمهّـــل

و بملعب الخيل الفسيح مجالــــــــــــــــــــــــــــه أجل النواظر في العتاق الحمـــــل

[1]- الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان دولة بني زيّان، مرجع سابق، ص5.

فبحلبة الأفراس كلّ عشيّـــــــــــــــــــــــة
لعب بذلك الملعب المستهـــــــــــــــــلّ

فترى المجلى و المصلى خلفـــــــــــــــــــــــــــه و
كلاهما في جري لا يأتـــــــــــــــلى

هذا بكر وذا يفرّ فينثنـــــــــــــــــــــــــــــــي
عطفا على الثاني عنــــــــــــــــان الأول

من كلّ طرف كلّ طرف يستبي قيد النواظر قتنة المتأمــــــــــــــــــــــــــــــــل

ودد وكأن أديمه شفق الدجى أو شهب كشهاب رجم مرسل."[1]

لقد شكّلت الطبيعة بمختلف عناصرها منهلا هاما، لكلّ شاعر فوقفوا عليها هذا مادحا و هذا وصّافا معجب بجمالها و الثغري واحد من هؤلاء عندما وصف لنا لحظة مغيب شمس تلمسان و أمر برفض من عاش هذه اللحظة أن يميل في تأني نحو المصلى و في قوله فمل نحو المصلى ميلة المتمهّل و أن يتأمّل ملعب الخيل الكبير و قوله و بملعب الخيل الفسيح محاله و هذا يعني أنّ المدينة كانت تهتم بكلّ ما هو أصيل الخيل و يمارس أهلها الفروسية تلك المدينة حقا كانت تعيش أجواء الاسلام و الدليل على ذلك ذكره اللّفظ المصلى.

[1]- المرجع السابق، ص499.

أو فيما يخصّ خيولها فكانت فتيّة و سريعة و لا يمكن أن ندركها و قويّة لدرجة أنّه نوه أن يشقّ شفق الدجى، يبدو أنّ الثغري يحب و طنه فقلما تخلو قصيدة من ذكره و الاشادة بحسنه و بهائه و هذا يظهر جليّا في القصيدة.

و من أشعار **الثغري** في وصف تلمسان في فصل الربيع قوله:

"قم مبصرا زمن الربيع المقبـــل

ترى ما يستر المجتبي و المجتـــــــــــــلي

و انشق نسيمالروض مظلوما و ما أهداك من عرف و عرف فاقبل

و انظر إلى زهر الريّاض كأنّـــه

درّ على لبات باتِ الحُـــــــــــــــــــــــــــــــــلي

في دولة فاضت يداها بالندى و قضت بكلّ منى لكلّ مؤمل

بسطت بأرجاء البسيطة عدلها وسطت بكلّ معاندٍ لم يعدل

راقت محاسنها و رق نسيمهـــا فحلا بها شعري و طاب تغزّلي

تاهت تلمسان بدولته علـــــــــــــــــى كلّ البلاد بحسن منظرها الجلى

هيء به زمن الربيع و قال لـــــــــــه بشرى بأملح من حلاك و أجملَ

و على علاه من ضيعة فضله تزاد نافحة السلام الأكمل..."[1]

تلمسان على الدوام جميلة و أجمل ما تكون عليه في فصل الربيع، هذا الفصل بالنسبة للعرب منذ الجاهلية، يمثّل عودة الحياة و الجمال من جديد إلى الدنيا، بعدما ألهبته حرارة الصّيف

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، مج7، مرجع سابق ، ص (126- 128).

و أرعدته أمطار الشتاء، يأتي الربيع لتنبت أرضه عيشا، تحتشد الأفعال الطلبية:(قم، اقبل، انظر) لتحثّ على الفعل، و لتنبئنا أنّ الشاعر، وقع تحت تأثير الفاعليّة الزمنيّة الربيعيّة، بسحرها و جمالها فانبهر حتّى قام و استقوم، و نظر و استنظر، لمعانقة الرّبيع، اعتقادا منه أنّ ربيع بلاده غير ربيع مدينة أخرى.

و لعلّ ارتباط الشاعر التلمساني بالربيع كان ملهمه، و هو الحافز على ابداعه، حتّى انّك لترى تراتيل الشعر تجري على ألسنته دونما عناء فيه: قال الشاعر:

راقت محاسنها و رقّ نسيمها فحلا بها شعري و طاب تغزّلي

و لعلّ اشادة الشاعر بغرض الغزل، لتوافق الّذي يجمع بين جمال الطبيعة ربيعا، و بين جمال المرأة التلمسانيّة، لذلك يشبّه الطبيعة في ربيعها بالمرأة في أبهى حللها حيث يقول:

و انظر إلى زهر الرياض كأنّـــــــــه درّ على لبات ربّات الحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــلي.

ثمّ تطرّق **الثغري** إلى تشخيص تلمسان جليّا، فهي في الربيع أشبه بغادة تلمسانيّة حسناء تتبختر في جلبابها، تلك المحاسن أعلت من تلمسان في شأنها بين البلدان.

هنا يتناص **الثغري** مع القرآن في دعوته إلى تأمّل مظاهر الحسن، و في طريقة عرضها، ففي تعظيم الطبيعة تعظيم لصانع الطبيعة.

هكذا تبدّى لنا الربيع التلمساني متأثّر بالزمن، لأنّ الربيع على الدوام ربيعا، يحمل صورة محمّلة بالدلالات الزمنيّة المرجية بالأزهار و التجدّد و الحياة الدائمة.

كما وصف **الثغري** جمال تلمسان في هذه المقطوعة الماثلة بين أيدينا حيث قال:

"و اسوح لدى تلك المسارح و ارتقي في كلّ حسن من ثراها المقبـــل

لا تنس يوما ثالثا فـــوارة

و يعذب منهلها المبارك فاهـــلِ

و اشرف على الشّرف الّذي باءزائها لترى تلمسان العليّة من عـــل

فكأنّه تاج بمفرقها. بـــدّا

أحسن بتاج بالبهاء مكلّـــل

فرسان عبد الواد آساد الوغـــى

أهل الندى و البأس و الشّرف العل

و اعجب لحسن جمالهم لمجالهــــــــــــــــــــــــــــــم
و بجنّة الدنيا تلمسان
فادخـــل

فإذا دنت شمس الأصيل لغربهـــــــــــــــــــــــــــــا
فإلى تلمسان الأصيلة فادخـــــــــــــــــــــــــــــل

من باب ملعبها لباب حديدهـــــــــــــــــــــــــــا
متنزّها في كلّ ناد
أحفــ
ــــــــــــــــــــــــــــل"[1]

القصيدة بمجملها مدح و فخر بمدينة تلمسان أرض الشاعر العتيقة، فيدعو أن يرسل بالنظر إلى ربوعها الساحرة و ماءها العذب مستخدما مجموعة من أفعال الأمر (اسرح، اهل، اشرف، احسن، اعجب، ادخل، أحفل...) و كلّ هذه الأفعال استخدمها الشاعر ترغيبا في مدينة تلمسان، و أهلها الّذين احترفوا الفروسيّة، و كانوا ذوي يأس و شرف في قوله:

فرسان عبد آساد
الوغــ
ى أهل الندى و البأس و الشرف العلّ

فهذه المدينة لم تثر اعجاب الشاعر في النهار فقط بل و حتّى في لحظات غروب الشّمس أين تستوقفنا بجمالها الخلاّب عندما قال:

[1] – مؤلف غير معروف، زهرة البستان في دولة بني زيّان، تحقيق بوزيّاني الدرّاجي، ج2، مؤسسة بوزياني للنشر و التوزيع، الجزائر، دط، دت، ص367 إلى 369.

فإذا دنت شمس الأصيل لغربها فإل تلمسان الأصيلة فادخــــــــــــــــــــــــل

من باب ملعبها لباب حديدها متنزّها في كلّ ناد أحفـــــــــــــــــــــــل

فجمالها دائم هذا ما جعل الشّاعر يرغب في مشاركة هذا الجمال مع غيره، كونها بالنسبة له جمعت كلّ الخصال و حديثه هذا ماهو إلاّ اعتزاز بأصله و انتمائه، فهذه البلاد احتضنت لحظات فرحه بكلّ فخر.

و **الثغري** له قصيدة اخرى في مدح أبي حمّو و وصف تلمسان لا تقلّ جودة و روعة:

"تاهت تلمسان بدولته علــــــــــــــــى كلّ البلاد بحسن منظرها الجــــــــــــــــــليّ

راقت محاسنها و رقّ نسيمهـــــــــــــــا فحلا بها شعري و طاب تغــــــــــــــــزّلي

عرج بمنعرجات باب جيادهـــــــــــــــا و افتح بها باب الرجاء المقفــــــــــــــــل

و بكهفها الضّحاك قف متنزّها تسرّح نفوسك في الجمال الأجمــــــــــــــــل"[1]

الشاعر هنا بصدد وصف الطبيعة التلمسانيّة، فبتأمّلنا للأبيات نجده يحاول أن يكتشف جمال تلمسان و محاسنها، من نسيم و منعرجات، و كهوف، هذه العناصر دفعت الشاعر إلى التغزّل

[1]- محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2006، ص278.

بها في قوله: فحلا بها شعري و طاب تغزّلي، فالثغري كان يحبّ وطنه فقلّما تخلو قصائده، في ذكر تلمسان و الإشادة بحسنها بعد أن نالت مكانة عالية في نفسه حين قال:" راقت محاسنها" ثمّ بدأ في الحديث عن تفاصيل هذا المكان حين قال: عرج بمنعرجات باب جيّادها،و افتح بها باب الرجاء المقفل: هذا ماهو إلاّ اعتزاز منه بأصله، فهذه البلاد التي عاش و ترعرع فيها و أحبها فهي في نظره من أبهى و أجمل بلدان العالم، فسحر طبيعتها، خلق فيها سعة الخيال و عمق التأمّل و الرقّة و النعومة، و التشابيه الحلوةو الصوّر البيانيّة، نذكر من ذلك الاستعارة المكانيّة في قوله: بكهفها الضّحاك، حيث شبّه الكهف بالانسان الكثير الضحك فذكر المشبّه الكهف و حذف المشبّه به و ترك قرينة دالّه عليه، و هي صفة الضحاك.

و ممّا سبق نستنتج أنّ وصف **الثغري** للطبيعة التلمسانيّة، هو وصف يتجاوب و لوعة نفسه العاشقة لجمال الطبيعة و حسنها الآخاذ، الذي يأسر العقول و القلوب، و في ختام هذه المقطوعة يدعونا الشّاعر لزيّارتها و التمتّع بمناظرها الخلاّبة التي اعتبرها جنّة الدنيا لجمالها و حسن منظرها الّذي يحبس الأنفس و يشدّ الأذهان لروعتها.

فهذا الوضع الطبيعي الممتاز هو الّذي جعل يحي بن خلدون يقول عن تلمسان"اقتعدت بسفح جبل و دون رأسه ببسيط أطول من الشّرق إلى الغرب عروسا فوق منصبة و الشماريخ مشرفة عليها اشراف التاج على الجبين تطلّ منه على فحص أفيح"[1] نفهم من خلال هذا أنّ الطبيعة التلمسانية هي كلّ شيء بالنسبة للشاعر الزيّاني فقد شغف بها و مزج روحه بروحها حتّى أنّه شبّهها في جمالها و روعتها بعروس فوق منصّة فهم يحاولون التحدّث إليها كما يتحدّثون إلى شخص ذي حركة و حيوي مصوّرين ذلك عن طريق الطبيعة و صانع تلك الطبيعة من حقول و رياض و أنهار و جبال فكان الثغري واحد من الّذين شغف قلبه بتلك الطبيعة السّاحرة فأخذ ينظّم دورا في وصف روعتها و مباهج جنانها.

[1]– الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، مرجع سابق، ص31.

وهذه أخرمقطوعة نريدها **لثغري** في وصف تلمسان:

"و تمشّ في جنانها و ريّاضها و اجنح إلى ذاك الجناح المخضل

تبدو لك الأفراح فيها أنجما زهرا و لكن لسن عنك بأفضل

تسليك في دوحاتها و تلاعها نغم البلابل و اطراد الجدول.

بنواسم و بواسم من زهرها

تهديك أنفاسا كعرف المندل

فلو امرؤ القيس بن حجر رآها قدما تسلّى عن معاهد مأسل

أو حام حول فنائها و ظبائها ما كان محتفلا بحومة حومل

و كم جاد لي فيها الزّمان بمطلب جادته أحلاف الغمام المسبل

شمس العلا حلّت بمنزل سعدها و أوت إلى بدر الملوك الأكمل

بحر الندى الأحلى و فخر المنتدى و سنا الدّجى الأجلى و زين المحفل."[1]

كانت تلمسان في الشعر الجزائري معلما بارزا شكّلت طبيعتها الخلاّبة هاجس لشعراء التلمسنيون خاصّة في العهد الزيّاني لتأثر الشعراء كثيرا بشعراء المشرق العربي و الأندلس خصوصا فكانت صورتها أقرب إلى صورة المدن الأندلسيّة الخلاّبة لروعة و جمال طبيعتها الجذّابة و الثغري واحد من هؤلاء الشعراء، فتغنّى بها و مجّدها واصفا إياها في أشعاره، و هذا يؤكّد روح الانتماء الوثيقة و كذا التعلّق بالمكان الّذي ألفه، فالمكان الأليف لدى الانسان " هو دائما المكان المحبب و وظيفته في الشعر أن يشحن الذاكرة باستمرار بشتّى الصوّر الباعثة على الحياة الانسانيّة الدافئة"[2] فالمكان عادة ما ينفصل عنه الشاعر لأسباب أو لأخرى يكون في كثير من الأحيان مجبرا فيها على ذلك.

فالشاعر يفتتح قصيدته بفعل طلبي يخص به المخاطب و يدعوه إلى التحول في جنان و رياض مدينة تلمسان لجمالها السّاحر، حيث تبدو الأمور بطريقة مختلفة عمّا هي عليه في الواقع (تبدو لك الأفراح فيها أنجما) وهذه الأماكن تخفّف عن النّفس بعناصرها المختلفة التي تشدو فيها البلابل أحلى الأنغام، و تطربك الجداول بخريرها الرقراق، و تزكيكا بأطيب الروائح و أنعشها التي تنثرها أزهارها، و لشدّة جمال هذه المشاهد تتمنّى لو أنّامرؤ القيس حاضر ليوفيها حقّها"فلو امرؤ القيس بن حجر رآها" و ما كان ليقف على الأطلال و لا بحومة حومل.

فشمسها و بحرها مكمن الجمال فطبيعة تلمسان الخلابة سلبت عقل الشّاعر و قلبه فجادت قريحته بأزكى و أروع الأشعار.

و من الشعراء التلمسانيين الّذين برزوا على الساحة الأدبية في العهد الوسيط:

[1]- بوزياني الدراجي، أدباء و شعراء من تلمسان، ج4، نسخة منقّحة،دار الأمل،دط، 2011، ص(من 279 إلى 285).
[2]- محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، مرجع سابق، ص107.

2/ابن خميس* التلمساني: كان من كبار شعراء تلمسان، لقبه يحي بن خلدون "بشاعر المائة السابعة"[1] .

كان الشاعر يستلهم من تلمسان طاقة تعبيرية حالمة بل كان متحرّكا حيويّا يبحث عن ذكرياته المشتّتة في شوارع تلمسان و مضاربها حيث نجده يقول:

نسيت و ما أنسى الوريط ووقفــة

أنافخ فيها روضه و أفــاوح

مطلاّ على ذاك الغدير و قد بـــــــــــــــــــــــدت للانسان عيني من صفاه صفائـــــــــــــــــــــــــــح

أماؤك أم دمعي عشيّة صدّقـــت عليّة

فينا ما يقول المكاشـــح

لئن كنت ملآنا بدمعي طافحـــا

فإنّي سكران بحبّك

*ابن خميس هو: عبد الله محمّد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس، ولد بتلمسان عام 645، عرف عنه التقوى و العزلة و هو شاعر بالفطنة و الحيلة، كان إماما في اللّغة متمكّنا من أسرارها، و هو ذخيرة موسوعيّة شعريّة اطّلع على اللّغة العربية و تشبّع بمقوّماتها الاعجازيّة، تعمّق في أصول الدّين، و كان عارفا بحدود الشرع تميّز بشعر الحنين، شعره يتناص مع القرآن.

[1]- يحيا بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، مرجع سابق، ص118.

طافـــ

ـــــــــــــــــــــــح

و إن كان مهري في تلاعك سائحا فذاك غزالي في عبابك

سابـــح

بمثل حلاة تستحت

القرائـــ

ـــح و أصفى من الدمع الّذي أنا سافح[1]

لقد شكّلت الطبيعة التلمسانيّة منهلا هامّا لابن خميس فوقف عليها واصفا ما تزخر به من جمال ساحر بمختلف عناصرها، فالشاعر هنا يستفتح القصيدة بفعل الّذي اختار له صيغة الماضي حيث خصّه على حاله و في ذلك اسقاط على حال "الوريط" و لعلّ في هذه المزاوجة أو المطابقة بين حال الشّاعر و الشلال بيان الأثر الّذي خلفة العدوّ في نفسيّة الشاعر في قوله:" صدّقت عُليَّة فينا ما يقول ما يقول المكاشح" فإنّهم دمع الشّاعر انهمار الشلاّل، بدافع التطابق بين حال الشاعر الّذي امتلأ قلبه حزنا و أسى فلم يجد سواء تلك الدموع المنهمرة علّها تخفّف حاله، فأسقط معاناته على صورة الشلال و هنا **ابن خميس** قلب صورة الشّلال بصورته المبهجة الرائعة إلى صورة حزينة و تبتدئ العواطف عنده بعاطفة حبّ تلمسان و التعلّق بها، و تنتهي بعاطفة الأمل و الرجوع إليها لتكون عاطفة ابن خميس إذا جامعة لجملة من العواطف، و هي الشّوق و الحزن و الأمل في ختام قصيدته في قوله: بمثل خلاه تستحث القرائح و أصفى من الدمع الّذي أنا سافح.

و من شعره أيضا هذه الأبيات في الشوق إلى مسقط ر أسه يقول:

[1]– محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ص480.

"تلمسان لو أنّ الزمان بها يسخـــــــــــــو منى النفس لا دار السّلام و لا الكرخ*

و داري بها الأولى التي حيل دونها مثار الأسى لو أنّ الحنق اللّبـــــــــــــــــــــــــــــــــــخ

و عهدي بها العمر في عنفوانـــــــــــــــــــــه و ماء شبابي لا أحن و لا مطـــــــــــــــــــــــخ

قرارة تهيام و مغنى صبابـــة و معهد أنس لا يلد به لطـــــــــــــــــــــــــــــــــخ."[2]

صرّح الشّاعر من الوهلة الآولى بالمخاطب و هو مدينة تلمسان و التي خصّها بالحديث دون سواها و تمنّى لو أنّ الزّمان يتكرّم عليه بنفخه منها فهو لا يريد دار السّلام و لا بغداد بعراقتها و يخبرنا بأنّها داره الأولى التي أبعد عنها ممّا فتح المجال لأحزانه و أساه، و يؤكّد على قضاءه لمراحل عمره طفلا و شابا حين قال: و عهدي بها العمر في عنفوانه و ماء شبابي لا أحسن و لا مطبخ، فقد عاش فيها تجربة حملت في طيّاتها جذور عشق و حنين و شوق لاذع و تحنان لهذه الأرض الطيّبة التي تبرز قيمتها و الاخلاص لها في الصّدارة، و في هذه المقطوعة جسّدها الحنين حينا و التصريح حينا آخر، ذلك أنّ الحفاوة و التكريم اللّذان لقاهما ابن خميس في الأندلس

* الكرخ: الحي الشرقي لبغداد الواقع على الضفّة اليسرى لنهر دجلة.

[2]- المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عيّاض، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص323.

و دمشق لم تصرفه عن ذكر البلد و الحنين إليه، و اعلان حبّه و الوفاء له و الأمل في العيش و قد بسط في الاحاطة ترجمة **ابن خميس** المذكور ممّا قاله:

"سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء فعند صباها من تلمسان أنباء

و في خفقان البرق منها إشارة إليك بما تنمي إليها و إيماء

تمرّ اللّيالي ليلة بعد ليلة و للأذن اصغاء و للعين إكلاء*

و أهدي إليها كلّ يوم تحيّة

و في ردّ إهداء التحيّة إهداء

و إنّي لمشتاق إليها و منبئ ببعض اشتياقي لو تمكن إنباء

أحسن لها ما أطت النسيب حولها و ما أعاقها من مورد الماء أظماء"[1]

*إكلاء: هو ترديد البصر.

[1]- المقري التلمساني، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطب، ج5، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1998، ص375.

من الرموز التقليديّة الموروثة في شعر ابن خميس، نذكر الرّيح، و هذا الرمز لا يكاد يخلو منه قول أي شاعر عربي حنّ إلى موطنه، الشاعر في هذا المقام افتتح بفعل أمر"سلّ"، غرضه الحنين إلى الأحبّة فهو طلب منّا أن نسأل الريح القادمة من تلمسان، علّها تحمل روائح الأحبة.

و الرّيح التي يقصدها الشّاعر هي المعروفة بالحنون و الحنون الرّيح التي لها حنين كالإبل، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين، لذا نجد الرّيح في ثقافتنا الاسلامية جند من جنود الله قد سخّرها لأحد أنبيائه (سليمان عليه السّلام) لذلك فهو رمز لنقل المعجز السريع، و قد جاء حنين ابن خميس مخضبّا بالمكان (تلمسان) و هذا يتطابق مع قول ابن قتيبة حين قال:" و للشعر دواع تحت البطئ و تبعث المتكلّف، منها الطمع، و منها الشوق...."[1] لم يذكر الحنين بلفظه بل ذكر الشوق بدله، و غرض الحنين يتضمّن ذكر المكان المهجور (تلمسان)، عبّر من خلاله ابن خميس عن حنينه و شوقه لتلمسان و يتجلّى ذلك في شوقه لعناصر الطبيعة التلمسانية من إبل و ريح و النجوم و البرق في قوله: و في خفقان البرق منها إشارة، فالمكان عنده حديقة غنّاة مليئة بهذه العناصر الطبيعيّة التي تحمل في طيّاتها طاقة الكشف و إثارة الاطلاع على الوطن البعيد، مما جعل **ابن خميس** مثيرا للأشواق، و فاتحا لباب التذكار من خلالها.

و ممّا أنشده في وصف تلمسان قوله:

"أيّها الحافظون عهد الـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــوداد

جدّدوا انسنا بباب الجيّـــــــــــــــــــــــــــــــــــاد

وصلوها أصائلا

بليـــ

ـــــــــــــــــــــال كلال نظمن في

الأجيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاد

[1]– ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، الشعر و الشعراء، مرجع سابق، ص79.

في رياض منضدّات المجـــاني
بين تلك الرّبا و تلك الوهــــــــــــــــــاد

و برج مشيّدات المبــاني باديات السّنى كشهب بوادي

رقّ فيها النسيم مثل نسيمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي
وصفا النهر مثل صفو ودادي

و زها الزهر و الغصون تشنـــــــــــــــــــــــــــــــــــــت
و تغنّت عليه و رق شـــــــــــــــــــوادي

و انبري كلّ جداول كحســام
عاري الغمد سندسي النجـــــــــــــاد

و ظلال الغصون تكتب فيــه
أحرفا سطرت بغير مـــداد

يا حيا المزن حيها من بــلاد
غرس الحب غرسها في فؤادي

و تعاهد معاهد الأنس منهـــا
و عهود الضبا بصوت الجهاد

حيث مغنى الهوى و ملهى الغواني و مراد المنى و نيل المـــــــــــــــــــــــــــــراد

و مقرّ العلا و مرقى الأمـــــــــــــــــــــــــــــــاني

و مجرّ القنا و مجرى الجيـــــــــــــــــــــاد

كل حس على تلمسان وقـــــــــــــــــــــــــــف و خصوصا على ربي العباد."[1]

الشاعر هنا يستفتح قصيدته بنداء الّذي اختار له النداء"أيّها"، و خصّها بالدعاء الحافظون دون غيرهم ممّا يدلّ على أنّه حريص على إبلاغ رسالته، ألا و هي الحثّ على حفظ العهد و التاريخ العريق لمدينة تلمسان، تلك المدينة المتربعة على عرش الجمال برياضها السّاحر وورده و نسيمه المتناثر، فنجدقد ربط حالته النفسيّة بكلّ ما للطبيعة من صلة فقد شبّه صفاء النهر و عذوبته بعذوبة وداده، وقد اكتسبت هذه المدينة حلّة الربيع فتفتحت الأزهار و الأغصان التي كانت موطن لمختلف العصافير المترنّمة، أمّا جداولها أي مجرى الماء الصغير فكان كالسيف الموجود خارج الغمد و ما هذا إلاّ دليل على اللّمعان و الإشراق في قوله:و انبرى كلّ جداول كحسام عاري الغمد سندسيّ النجاد.

و قد خالطه ظلّ الغصون فكأنّه يكتب أحرف خطّت بغير خبر و في آخر قصيدته يجدّد طلبه بالدعاء لتلمسان و الافتخار بها.

و في حنين **ابن خميس** إلى تلمسان قوله:

"تلمسان جادتك السحاب الروائح و أرست بواديك الرياح اللواقـــــــــــــــــــــــح

[1]- محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، مرجع سابق، ص 499.

وسحّ على ساحات باب جيادها ماء يصافي تربها و يصافـــح

يطير فؤادي كلّما لاح لامــع
و ينهل دمعي كلّما ناح صـــــــــــــــــــــادح

ففي كلّ شفر من جفوني مائـــــــــــــــــح و في كلّ شطر من فؤادي قـــــــــــــــــادح

فما الماء إلا ما تسحّ مدامعـــــــــــــــــــــــــــي و لا النّار إلاّ ما تجنّ الجوانـــــــــــــــــــــــح

خليلّي لا طيف لعلوة طـــــــــــــــــــــــــــارق بليل و لا وجهٌ لصبحي لائـــــــــــــــــــــــــحٌ

نظرتُ فلا ضوءٌ من الصبح ظاهرٌ لعيني و لا نجم إلاّ الغرب جانـــــــــــــح

يحققكما كنّا الملام و سامحـــا
فما الحلّ كلّ الحلّ إلاّ المسامــــــــــــــــــــــــح."[1]

غالبا ما يذكر اسم العلم: (تلمسان) مفردا غير متبوع بصفة لأنّه أشهر أسماءها، و هذا الاسم بربري الأصل، و هو مركّب من (تلم)، و (سان)، التي تعني الصحراء و المدينة، البرّ و البحر، و غيرها من الثنائيات الضديّة حيث قال الشاعر:

---

[1]- أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عبّاس، مج 7، مرجع سابق، ص (131 – 132).

تلمسان جادتك السحاب الروائح و أرسلت بواديك الريّاح اللّواقح

وقد ورد هذا الاسم متبوعا بصفات كثيرة، تنمّ عن الوصف الحقيقي، و التعبير عن المحبّة أو الكره و من بين هذه الصفات(لعلوة) في قوله:

خليلي لطيف لعلوة

طـــــــــــــــــــــــــــــــــارق

بليل و وجه لصبحي لائـــــــــــــــــــــــــــــــــح.

و العلو محمود في الحلم و اليقظة، وهو شرط من شروط تأسيس المدن القديمة، حيث تكون في منعة من الأعداء لصعوبة الوصول إليها. و العلو هنا مرتبط بنفسيّة الشاعر، خصوصا عند ابن خميس في حنينه فهو عنده علو مكان و مكانة، ففضاء تلمسان فتن الشاعر كفتنة الأرض بل أكثر لأنّه على الدوام يحنّ إلى سمائها موضع الجنّة التي انزل منها، و يتضمّن الفضاء كلّ ما يقابل الحيّز المكاني التلمساني من كواكب في السماء (شمس، قمر...) و ظواهر طبيعيّة (ريح، نسيم، السحب، البرق، و المطر)، فحينما يوظّف ابن خميس الطبيعة الحيّة، و المظاهر الأخرى التي جعلت منها مثيرات الحنين (اللّيل، الريح، السّحاب)، فالشاعر و هو في ذكره للفظة الليل إنّما غرضه كان سماع خبر عن بلد بات يحلم به، حتى إذا طلع ذلك الصباح تكسّر الحلم في الواقع:

خليلي لا طيف لعلوة طارق بليل و لا وجه لصبحي لائح

إنّ اللّيل عند الشاعر في غيابه ليس للنوم من أجل الرّاحة، بل للنوم من الحلم بتلمسان كون الحلم في اعتقاد فرويد إنّما هو متنفّس اللاّشعور، هكذا يبدو لنا الشاعر في غربته، مخضب بالأشواق و الصراع بين ألم يمزّقه، و أمل يرجع أنفاسه و يتجلّى ذلك واضحا في البيت الآتي:

كتمت هواها ثمّ برح بي الأسى   و كيف أطيق الكم و الدمع فاضح

الشاعر هنا يصرّح بكتمانه أحاسيسه و مشاعره اتجاه تلمسان التي فارقها و يحنّ للعودة إليها إلاّ دموعه فضحته.

3/ محمّد بن عبد الله بن الخطيب: الملقّب بلسان الدين و هو غرناطي الأصل و المنشأ و الدراسة كان ابن الخطيب كاتبا و شاعرا و مصنّفا و امتاز شعره رقة اللفظ رائق المعنى مقبول الصنعة و كان مولع في وصف تلمسان و أهلها حيث قال:تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء و الرّيف ووضعت في موضع شريف كأنّها ملك على رأسه تاجه....

و ممّا انشده في تلمسان من الشعر قوله (الكامل)

"حيا تلمسان الحيا فربوعـــــــها   مدن يجود بدرها المكنـــــون

ما شئت من فضل عميم إن سقى   أروى و من ليس بالمنـــــون*

أو شئت من دين إذا قدح الهدى   أروى** و دنيا لم تكن بالـــدون

ورد النسيم لها بنشر حديقـــــة***   قد ازهرت أفنانها بفنـــــون

---

* المنون: المقطوع

**أروى:أنار و أضاء

*** نشر الحديقة:ما ينتشر عنها من رائحة طيّبة

و إذا (حبيبة أم يحيا**** انجـــــــبت) فلها الشفوف على عين العون*****[1]

الشاعر هنا يفتتح هذه القصيدة بالدعاء لتلمسان بالحياة في قوله حيا تلمسان الحيا" تلك المدينة تتميّز بكرم أهلها ففي قوله فربوعها مدن يجود بدرها المكنون"أرض فيها ما فيها من الخيرات و النعم الكبيرة، يعتبر الدين خير ملمح فيها كونهم- أهلها- اختاروا الاعراض عن الدنيا في قوله" دنيا لم تكن بالدون".

و حتى الورود كان لها نصيب عند الشّاعر، خاصّة و أنّها كانت عبقة العطر الذي انتشر في كلّ حديقة و في عامة الأماكن.

استهوت تلمسان قلوب العارفين و ظلّت موطن الشعراء المحبّين فكانت كما وصفها المقري صاحب كتاب نفح الطيّب لها شأن عظيم و هي مدينة عريقة في التمدّن لذيذه الهواء، عذبة الماء كريمة المنبت فقد كان لها شأن كبير ذات الأنهار الرائقة و الأشجار الباسقة و الأثمار المحدّقة.

4/ محمّد بن جمعة التلالسي:

كان التلالسي*علاوة على مهارته في الطب أديبا مثقّفا وشاحا ينظّم الشعر و يحسن قرضه دلّ على ذلك ما خلّفه من قصائد و الموشّحات الرقيقة لا سيّما ما كان في مدح النبي صلّى الله عليه و سلّم و هذا نموذج من شعره في وصف ربوع تلمسان: (الطويل)

"سقى الله من صوب الحياها طلا و بلا ربوع تلمسان التي قدرها استعلى

****حبيبة أم يحيا: عين ماء بلمسان

***** العون: الأزهار

[1]- لسان الدين ابن الخطيب، التلمساني، الديوان، تحقيق محمّد مفتاح، مج2، دار الثقافة ، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص603.

ربوع كان الشباب بها
مصاحبي
جرت إلى اللّذات في دارها الذيــلا

فكم نلت فيها من أمان
قصيّة
و كم منح الدهر المنيف بها النيلا

و كم ليلة بتنا بصفصيفها الــذي تسامى
على الأنهار إذ عدم المثلا

و كديّة عشاق لها الحسن ينتهي
يعود المسن الشّيخ في حسنها طفلا

و غدير الجوزة السالب الحجا
نعمت به طفلا و همت به كهــلا

فيا جنّة الدنيا التي راق حسنها
فحازت عن كلّ البلاد به فضـلا"[1]

في هذه القصيدة يبدأ الشاعر كلامه بالدعاء" سقى الله" و هذا يؤكّد تعلّقه الشديد بوطنه تلمسان و تمنيه كل الخيرات له بعد أن نال مكانة عالية في نفسه، حين قال" تلمسان التي قدرها استعلى"ثمّ بدأ في الحديث عن تفاصيل هذا المكان الّذي كان مصاحب له طيلة فترة شبابه، حيث قال:زبوغ كان الشباب بها مصاحبي.

---

* محمد بن أبي جمعة التلالسي: هو الحاج أبو عبد الله محمّد بن أبي جمعة التلالسي أصله التلمساني كان الطبيب الخاص للسلطان أبي حمو موسى الثاني و هو من أسرة جل، أفرادها أطباء و كان على قيد الحياة بتلمسان فيما بين 760 و 767 للهجري و نجهل تاريخ وفاته.

[1]– محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيّان، مرجع سابق، ص (500-501).

كما أنّ الشاعر أحسّ بالأمان و السلامة في تربة أرضه، و حديثه هذا ماهو إلاّ اعتزاز منه بأهله

و عدم تنكّره له، فهذه البلاد احتضنت لحظات سعادته بكلّ فخر فكيف له أن ينكر ذلك الفضل العظيم حين استخدم "كم"التي تفيد العددية و الكثرة التي كرّرها أكثر من مرّة حين قال:"فكم ثلثُ فيها من أمان قصيّة" هنا تصف حالته النفسيّة التي عاشت نشوة السعادة و الأمان، أم في"كم ليلة بتننا بصفصيفها"، فهي تدلّ على انقضاء المدّة الزمنيّة التي قضاها فيها ، و الليل عادة ما يرمز للخوف و الوحدة و الوحشة و السكون، إلاّ أنّه عند الشاعر حمل دلالة ايجابية فأكسبه صفة الحركيّة و التسامر بين الأحبّة، و تبادل الأحاديث بالقرب من الأنهار، و ما النهر إلاّ رمز للحياة و الاستمراريّة و التجدّد.

و لم يكتف الشاعر بهذا الوصف فقط بل ارتأى أن يذكر كدية العشاق و لفظ كديّة يعني المكان المرتفع عن الأرض تكسوه خضرة و التي تفعل العجب، فالشيخ فيها و لجمالها يشعر أنّه طفل صغير حيث قال يعود المسنّ السيخ في حسنها طفلا، و الطفل رمز للحيوية و المرح و الحياة بعكس الشيخ رمز الهموم و التعب...ثمّ ينتقل الشاعر إلى وصف غديرها ذلك المجرى الصغير من الماء العذب، و ما ذكره له إلاّ دليل على أنّ الشاعر يعرف كلّ كبيرة و صغيرة في تلمسان منذ نعومة أظافره، إلى أن أصبح كهلا.

و يختمم الشاعر قصيدته بنداء اسخدم له حرف النداء يا و خصّ بها مدينة تلمسان التي اعتبرها جنّة الدنيا لجمالها و حسن منظرها و يخبرنا بعلّو مكانتها عنده دون باقي البلاد.

و له قصيدة في مدح تلمسان قال فيها:

"و كدية عشاق لها الحسن ينتهـــي

يعود المسنّ من حسنها

طفـــلا

نعم و غدير الجوز السالب الحجـــــــــــــــــــــــــى نعمت
به طفلا و نمت به كهـــــــــــــــــــــــلا

و عبّادها ما القلب ناس
ذمامـــــــــــــــــــــــــــــــه
به روضة للخير قد جعلت جـــــــــــــــــــــلاّ

لها بهجة تزري على كلّ
بلـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
ـــــــــــدة بتاج عليها كالعروس إذا
تجلـــــــــــــــــــــــــــــــــى

و لا عجب أن كنتِ في الحسن هكذا و موسى الامام المرتضى فيك قد حلا

و لاحت لدينا فيك منه محاســـــــــــــــــــــــــن
كأنّ سناها حاجب الشمس إذ جـــــــــلّى

فكم نلت فيها من أمان قصبـــــــــــــــــــــــــــة
و كم منح الدهر الضنين بها النيـــــــــــــــــلا

و كم ليلة بتنا على رغم حاســـــــــــــــــــــــدٍ
ندِيرٌ كؤوس الوصل إذ بالصّفا تملا"[1]

يفتخر الشاعر بمدينة تلمسان و يتمنّى الخير لهذه البلاد التي يفوق قدرها و مكانتها كلّ البلدان، بعد أن نالت مكانة بارزة و عالية في نفسه، وهذ يؤكّد تعلّقه الشديد بوطنه، و أيضا

[1]- بزيّاني الدراجي، أدباء و شعراء من تلمسان، ج 4، مرجع سابق، ص (82- 83).

ماءها قد استمتع به طفل و كهلٌ، فأرضها ذات خيرات لا تعدّ و لا تحصى، و يتجلّى ذلك في قوله: [و عبادها ما القلب ناس ذمامه] و هذه الأنهار منحت لأرضها تاج جعلها تبدو كعروس [وبتاج عليها كعروس إذا تحلّى] و نفهم من خلال هذا البيت أنّه يظهر جليّا كيف تناغمت الطبيعة الجغرافيّة مع الطبيعة البشريّة فألهمت الأولى الثانيّة.

ثمّ يتوجّه بخطابه إلى مدينته تلمسان و يخبرنا بأنّ جمالها ليس بالأمر الغريب فهي أرض العلماء كالإمام موسى المرتضي، فقد برزت محاسنه لأهلها فكان بمثابة النّور الّذي يهدي و يقوّم أهلها إلى الطريق المستقيم.

ثمّ يخبرنا الشاعر بكثرة الأشياء الايجابيّة و الأماني التي تتحقّق له بها، عندما استخدم أداة الاستفهام " كم" التي تفيد العدديّة و كرّرها أكثر من مرّة ليؤكّد على ذلك، فلياليها لم تكن للنوم و الرّاحة بل كانت ملتقى الأحبّة و الأصدقاء الّذين يتسامرون بكؤوس الوصل و يتبادلون أفراحهم بين أحضان أرضها الرحبة، و ماذ كر الشّاعر هنا لعناصر الطبيعة التلمسانيّ إلاّ دليل على أنّ الشاعر يعرف كلّ كبيرة و صغيرة في بلده، و هذا يؤكّد تعلّقه بالمكان الّذي عاش فيه فتغنّى به و مدحه في أشعاره.

نستنتج ممّا سبق أنّ تلمسان في الشعر الجزائري هي معلم بارز، استلهمت قريحة بلاط العهد الزيّاني أمثال بن خميس، الثغري، التلالسي، و قد تغنّوا بها و مجّدوها في أشعارهم متأثّرين بذلك بشعراء الأندلس، فكانت صورتها أقرب إلى صورة المدن الأندلسيّة الخلاّبة لروعة و جمال طبيعتها الجذّابة، و هذا يؤكّد على التعلّق بالمكان الذي عادة ما ينفصل عنه الشاعر لأسباب لأخرى، و يكون في الكثير من الأحيان مجبرا فيها على ذلك.

فالطبيعة عند الشعراء التلمسانيون في العهد الزيّاني هي كلّ شيء، فقد شغفوا بها و مزجوا أرواحهم بروحها، و بادلوها الشعور و الاحساس و كانوا يتحّثون إليها كما يتحدّثون إلى شخص ذي حركة، فهم يصوّرونها عن طريق الطبيعة كما أبدعها الله ممثّلة في الحقول و الرّياض

و الأنهار و الجبال، و يصفونها كما صوّرها الفن لديهم في القصور و المساجد و البرك و الكهوف...

كلّ ذلك كان له أثر في جمال الطبيعة التلمسانيّة التي شغفت بها القلوب و أخذ الشعراء ينظمون دررا في وصف رياضها و مباهج جنانها.

خـــــــــاتمـــــــــة

إنّ أقصى ما يتمناه الباحث أن يبلغ هذه المرحلة من البحث ليجني ثماره و إن كانت قراءة العمل الأدبي لا تحمل معنى الحسم آنئذ لتعدّد القراءات، و إنّي ارتأيت من الصائب في الخاتمة أن أجمع أوساط القول و عرض النتائج تكميلا للبحث و تحسينا له، و كانت كالآتي:

- كنا بحثنا رحلة طيّبة، خط انطلاقها المدينة في الشعر الجزائري و نقطة وصولها تلمسان، و أقصى غاياتها الطبيعة التلمسانيّة في العهد الزيّاني.

- تمكنّا من التعرّف على المكان كمصطلح و كذا مكانته في الشعر الجاهلي و المعاصر، و أبعاده و مكانته في الشعر العربي.

- التعرّف على ماهيّة المدينة و المراحل التي مرّت بها عبرّ العصور و كيفيّة تعامل شعراء الجزائر على وجه الخصوص معها، و الشعراء العرب على وجه العموم.

- الوقوف على أهم شعراء تلمسان الذين تغنّوا بها في العهد الزّياني.

- جذبت تلمسان في عهدها الزّياني شعراء كثيرون من أهلها [ابن خميس، الثغري، التلالسي،.....] من غير أهلها [ابن خطيب، يحيا ابن خلدون...] وذلك بفضل وضعها العام.

- تأثّر الشاعر التلمساني في العهد الزيّاني كثيرا بشعراء المشرق العربي و الأندلس، فكانت صورتها أقرب إلى صورة المدن الأندلسيّة الخلابة لروعة و جمال طبيعتها الجذّابة.

- شاع وصف و مدح مظاهر الطبيعة و العمران التلمساني في العهد الزيّاني أكثر من أي عهد آخر.

حيث انفرد الشاعر الزيّاني بوصف مظاهر الطبيعة على اختلاف شعراء أي عهد آخر.

- بنيّة القصيدة في العهد الزيّاني تتشكّل من البنى التاليّة:

[مدح تلمسان]و مثاله التلالسي.

[وصف تلمسان] و مثاله الثغري.

[الحنين إلى تلمسان] و مثاله ابن خميس.

و ختاما كما يقال لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان، نرجو أن نكون من خلال بحثنا المتواضع قد أزحنا اللّثام و لو بشكل ضئل عن المدينة في الشعر الجزائري القديم، و موقف شعراء تلمسان في العهد الزيّاني منها.

فإن وفقنا فمن عند الله تعالى و إن فشلنا فحسبنا أنّ اجتهادنا و الحمدلله ربّ العالمين.

قائمة المصادر

و المراجع

القرآن الكريم(برواية ورش)

قائمة المصادر

1- ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1423.

2- أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

قائمة المراجع

1- إبراهيم رمّاني، المدينة في الشعر العربي، الجزائر أنموذجا من (1925- 1962)، الهيئة العامّة للكتاب، مصر، ط1، 1977.

2- إبراهيم نصر الدين سيدي محمد نقادي، تلمسان الذاكرة، منشورات ثالة،الأبيار، الجزائر، ط2 ، دت.

3- ابن جعفر، شرح المعلّقات السبع، بيروت لطباعة و النشر، 1980.

4- ابن مريم الشريف المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، دت.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، السلسلة الآولى من الفتح الإسلامي إلى القرن التاسع، ج1، عالم المعرفة، ط1، 2015.

6- إحسان عباس، إتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الآدب، الكويت، فبراير، 1978.

7- أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربيّة المعاصرة، عمّان، الأردن،ط1، 2004.

8- أحمد عاشور، الطريق إلى زبامة منصوريّة، مطبعة ولاية قالمة، الجزائر، ط1، 2001.

9- أسامة بن منقذ، المنازل و الديّار، تحقيق الأستاذ مصطفى حجازي، القاهرة، مطابع الأهرام التجاريّة، قليوت، مصر، دط، دت.

10- اعتدال عثمان، إضاءة النّص، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1988.

11- التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيّان، ملوك تلمسان، تحقيق و تعليق محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2011.

12- الجاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيّان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الساحة المركزيّة، بن عكنون، الجزائر،دط، دت.

13- الربعي بن سلامة و آخرون، موسوعة الشعر الجزائري، مج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.

14- السيّد إسماعيل، بناء فضاء المكان في القصة العربيّة القصيرة، اصدارات دائرة الثقافة، دط، دت.

15- المقري التلمساني، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطب، تحقيق إحسان عبّاس، مج7، دار صادر، بيروت، لبان، دط، دت.

16- المقرّي التلمساني، نفخ الطيب في غصن الأندلس و الرطيب، تحقيق إحسان عبّاس، ج5، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1998.

17- المؤلف غير معروف، زهرة البستان في دولة بني زيّان، تحقيق بوزيّاني الدراجي، ج2، مؤسسة بوزيّاني، الجزائر، دط، دت.

18- بزياني الدراجي، أدباء و شعراء من تلمسان، ج1، دار الأمل، الجزار، 2011.

19- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان، مؤسسة دار صادر الثقافية، ط1، 2013.

20- خالد بالعربي، تلمسان من الفتح التلمساني إلى قيام الدولة الزيانيّة، دار الألمعيّة، ط1،2011.

21- عبد الأحد السبتي و حليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، (قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994.

22- عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزيّاني، موفم للنشر، الجزائر،ج2، دط، 2007.

23- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الوطنيّة للدراسات و النشر، ط2، دت.

24- فتحيّة كحلوش،بلاغة المكان، قراءة في مكانيّة النص الشعري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

25- قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في اشكالية التلقي الجمالي للمكان، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001.

26- لسان الدين ابن الخطيب التلمساني، الديوان، تحقيق محمّد مفتاح، مج2، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1 ، 1989.

27- محمد حمدان، أدب النكبة في التراث العربي، (أدب النكبات، المدن ذات الأسباب الداخليّة في المشرق العربي في العصر العباسي)، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب،دمشق، 2004.

28- محمد طمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الساحة المركزيّة، بن عكنون، الجزار، دط، 2006.

29- محمّد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتّى سقوط الخلافة، دار الآفاق العربيّة، ط1، 2007.

30- محمد عثمان، صفحات من تاريخ و معالم تلمسان لؤلؤة المغرب العربي، الدار المصرية للكتاب، ط1، 2013.

31- محمود درويش ديوان، دار العودة، لبنان، ط2، 1978.

32- مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، سلسلة كتب الثقافة شهريّة، ع196، دط، 1995.

33- يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج1، الجزائر،دط، 1903.

34- يوسف وغليسي، أوجاع صفصافة في موسم الإعصار، منشورات إبداع الجزائر، ط1، 1995.

قائمة المعاجم

1- أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار صادر بيروت، ط1، 1990.

قائمة المجلات

1- مجلّة جامعة العلوم الهندسيّة، مج2، ع28، 20012.

2- أحمد قيطون و عمّار حلاسة، تيمة المدية في الخطاب الشعري العربي المعاصر، مجلّة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع6، جوان 2014.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدّمة.....أ – د

مدخل.....6–18

1/تعريف المكان.....7– 9

أ/لغة.....7–8

ب/اصطلاحا.....8– 9

2/ المكان في الشعر الجاهلي.....9–11

3/ المكان في الشعر المعاصر.....11– 12

4/أنواع المكان 13– 15

أ/أمكنة عامة.....13– 14

ب/أمكنة خاصة.....14– 15

5/أبعاد المكان.....15– 17

أ/بعد جمالي.....16

ب/بعدمادي.....16

ج/بعد أسطوري.....16– 17

د/بعد فلسفي.....17

6/أهمية المكان.....17–18

فصل أول:المدينة في الأدب العربي.....20–51

أولا:المدينة في الشعر العربي 20

1/تعريف المدينة.....20–22

2/المدينة عبر العصور.....22–37

3/أبعاد المدينة.....37–40

4/تصوير شعراء الجزائر لوطنهم.....40–43

5/الموقف من المدينة 43–46

ثانيا:تلمسان.....46–53

1/معنى كلمة تلمسان.....46–47

2/تلمسان و ارتباطها بالموقع الجغرافي.....47–48

3/موقع تلمسان تاريخيا و عمرانيا.....48–49

4/تلمسان عند الرحالة.....49–51

5/تجليات تلمسان في الشعر.....51–53

فصل ثاني:تلمسان في العهد الزياني.....55–73

1/تلمسان في العهد الزياني.....55

2/المظاهر الطبيعية في تلمسان الزيانية.....56

3/المظاهر العمرانية.....57-56

4/تلمسان الزيانية.....58-57

5/أهم شعراء الطبيعة التلمسانية في العهد الزياني.....72-58

-الثغري.....65-59

-ابن خميس.....72-66

-لسان الدين ابن الخطيب.....73-72

-التلالسي.....76-73

خاتمة.....78-77

قائمة المصادر و المراجع.....84-80